وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جـامـعـة يـحـي فـارس بـالـمـديـة

كـلـيـة الآداب واللغات

قسم:اللغة والأدب العربي

النسق الثقافي عند ادوارد سعيد في كتابه الاستشراق

مذكرة لنيل شهادة الماستر

تخصص أدب نقد حديث و معاصر

إعداد الطلبة:إشراف الأستاذ :

- ❖ حفصة شايب الراس
- ❖ مولود فضيل

- حسين العربي

السنـة الجامعية

2022/2021

شكر و عرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتحقق بفضله المقاصد

والغايات

فالحمد والشكر لله على توفيقه وإحسانه وفضله و امتثالا لقوله

صلى الله عليه وسلم"لا يشكر الله من لا يشكر الناس "

فإننا نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى من شرفنا بإشرافه

على إنجاز مذكرتنا بحسن توجيهاته ونصائحه

كما نشكر جميع من ساندنا في مشوارنا الدراسي وقدم لنا يد

العون، ونتمنى بدورنا لهم كل النجاح في دربهم



الإهداء

اهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى نبع الحنان ورمز العطاء

إلى من غمرتني بدعواتها، أمي الغالية أطال الله في عمرها

إلى من علمني الصبر وغرس فيا روح المثابرة والجد

إلى من ألجئ إليه حين تعصف بيا الحياة رمز الحب أبي الغالي

إلى أحبائي الذين شاركوني أمي وأبي إخوتي وأخواتي

إلي من رافقني في خطواتي الأولى وكان سندا لي في خطواتي الأخيرة

أصدقائي .

حفصة



الإهداء

الى من كدّ وجدّ من ان نبلغ العلى والدي رحمه الله؛ الى التي

لازالت تثابر من اجل ان نسعد امي حفظها الله، إلى سكني في

الحياة زوجتي اعزها الله، الى اولادي واخوتي وزملائي في العمل

والى زملاء الدراسة، جميعا اهدي لهم هذا العمل المتواضع.

مولود



مقدمة

مقدمة:

لقد تميزت الحضارة الإسلامية بين جميع أمم العالم بالجمع بين قوة الإيمان وحب العالم، فنشرت عقيدة التوحيد السّمحة وأقامت حضارة إسلامية عظيمة أضاءت بها الدنيا في وقت كان فيه العالم يعيش في دهاليز ظلام الجهل، وخاصة أوربا التي كانت مسجونة في ظلمات الكنيسة وجهلها واستبدادها، فكانت الحضارة الاسلامية بمثابة نور يشع على العالم حتى وصل إلى مشارف جبال الألب في فرنسا، وبحكم الاحتكاك الذي كان بين الأندلس والدول الأوربية ما جعل أوربا تنبهر بهذه الحضارة، وتعد العدة إلى التعرف على معالم هذه الحضارة الجديدة ومقوماتها من اللغة العربية والعلوم الأخرى سواء أكان هذا في حسن نية أو غير ذلك فنتج عنه ما يسمى بفكر الاستشراق الذي كان نتاج إفرازات التواصل الحضاري والثقافي بين الشرق والغرب، فما مفهوم الاستشراق من المنظور الغربي؟ وكيف كانت بداياته الفعلية؟ وما هي أهم دوافعه الحقيقية؟

ومن أجل تحقيق ما أشرنا إليه آنفا اعتمدنا على خطة بحث تمثلت في مقدمة كتمهيد للموضوع وحددنا إشكاليته ثم حددنا فيه مفهوم الاستشراق ونشأته بصفة عامة عند الدارسين.

أما المبحث الأول فتناولنا فيه الأنساق الثقافية وأنواعها والمبحث الثاني تناولنا فيه المنظور النقدي للاستشراق عند إدوارد سعيد.

وأما التطبيقي فخصصنا له ثلاث مباحث:

المبحث الأول: كان عبارة فطاقه في قراءة عامة للكتاب

المبحث الثاني: الأنساق الثقافية والصور النمطية عن الشرقي

المبحث الثالث: تجليات الأنساق الثقافية في كتاب الاستشراق.

وتوجناه بخاتمة استنتجنا فيها نقاطا مهمة.

ودراسة هذا الموضوع اختلفت أسبابه بين ذاتية وموضوعية.

ذاتية الرغبة الشخصية لنا في سبر أغوار هذا الموضوع.

التعرف على حقيقة الاستشراف وصدق مقولات الغرب في هذا الشأن.

أما عن الأسباب الموضوعية فهي تتمثل في دراسة موضوعة الاستشراق بشكل علمي

تحديد الأجوبة الحقيقية بشأن الجدل القائم بين مؤيد ورافض له.

أما عن الهدف من الدراسة هو استجلاء حقيقة الاستشراق وأهمية النقد الثقافي في كشف الأنساق الثقافية في الفكر الاستشراقي على يد المفكر إدوارد سعيد.

– أثر الاستشراق على أثر الأمة الإسلامية.

واعتمدنا في بحثنا على المنهج التاريخي باعتباره تتبع سيرورة الفعل الاستشراقي نشأة وتطورا ومآلا، كما اعتمدنا على المنهج التحليلي الوصفي لمعاينة الوقائع والأحداث.

وكان كتاب الاستشراق لصاحبه "إدوارد سعيد" أهم مرجع لنا في معمار هذا البحث باعتباره يفكك جهاز الاستشراق ويضيء حنفيته ... بل يفند مقولاته ويكشف أنساقه.

وكذلك كتاب النقد الثقافي (قراءة في الأنساق في الأنساق الثقافية العربية) لعبد الله الغذامي، باعتباره يحدد كيفيات التعامل مع الأثر باعتباره خطابا لا نصا.. في دائرة الثقافي وخارج دائرة الأدبي.

وكأي بحث واجهتنا صعوبات تمثلت في:

1– صعوبة الموضوع وامتداداته الفكرية والفلسفية والحضارية.

2– صعوبة فك الاشتباك الحاصل بين أطراف استهلكها الاستقطاب.

وختاما نحمد الله على نعمه وفضله أن وفقنا على إتمام هذا البحث، ونشكره شكرا يوافي نعمه ويكافي آلاءه وبما أن شكر المعبود لا يكتمل إلا بشكر العباد.

نوجه شكرنا الوافر لأستاذنا المشرف "العربي حسين" على إشرافه وحسن أخلاقه وجميل صبره علينا، فإن أصبنا من الله عزوجل وإن أخطأنا فمن أنفسنا "وكل بني آدم خطاء"، ونوجه شكرنا العميق إلى أعضاء لجنة المناقشة على عناء قراءتهم للمذكرة وتصحيح أخطائها وتوجيهاتهم التي سنعمل بها بإذن الله

والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول:

المفاهيم الأساسية للاستشراق

المبحث الأول : مفهوم الاستشراق عند الدارسين

المبحث الثاني: الأنساق الثقافية وأنواعها

المبحث الثالث: مفهوم الاستشراق عند ادوارد سعيد

مدخل:

لقد شهد القرن العشرين جملة من التحولات في الساحة الأدبية بصفة عامة والصفة النقدية بصفة خاصة، وذلك نتيجة التطور ونمو العلوم المعرفية والتي استفادة النقد الأدبي بكل نظرياته.

والنقد الثقافي الذي يمثل جزء كبير من نظريات النقد الأدبي المعاصر، حيث ساهم بشكل كبير ومباشر في كشف الأنساق الثقافية المضمرة في النصوص الأدبية.

ولم يكن الاستشراق من الجانب النظري والمعرفي قبل عام 1978 مثله كما كان بعد هذا العام. كان الفارق في صدورِ كتابِ " الاستشراق"للدكتور إدوارد سعيد الذي أحدث نقلةً نوعية في هذا الباب، من حيث دراسته للموضوع من زوايا وجوانب لم تُدرس، أو ينظر فيها من قبل، بأسلوبٍ علمي ومنهجٍ أكاديمي. كان الكتاب عبارة عن دراسة علمية، تحليلية، تفصيلية لتاريخ ونشأة وتطور الاستشراق، وأثاره السياسية، والاجتماعية، والثقافية على الشرق والغرب.

يقول د. محمد عنداني في تصديره للكتاب :<<وقد استطاع أن يقدِّم ترجمة فريدة ممتازة له، ينصح بقراءتها لمن يريد مطالعة الكتاب –يقول: اتبع المؤلف في كتابته منهجاً علمياً، وخاطب الغرب بلغته ومنهجه العلمي الحديث فلم يسع الأخير –أي الغرب –إلا أن يقبله[1]>>.

والكتاب –أو المشروع –كما يقول عنه المؤلف: يرمي إلى وصف نظام فكري خاص –يقصد نظام الاستشراق، وقد أُلحق هذا الكتاب بكتابين آخرين يكمّلان هذا المشروع –قائمٌ على أُسُسٍ فكريةٍ صلبة، ويدحض النظرة الجوهرية تجاه الشرق التي زيفها الغرب. وأحاول فيه أن أبيِّن كيف أُسيء تصوير الإسلام بصفة جوهرية في الغرب، وهو مستوحى من الثغرة الهائلة التي شعرتُ بها بين حديث المستشرقين أو الغربيين في الخارج، وتجربتي الشخصية في

[1] **إدوارد سعيد، الإستشراق (المفاهيم الغربية للشرق) تر: محمد عناني، دار بنحوين العالمية، ط1، القاهرة، 2006م**

الشرق، إذ لا يوجد أي تطابق بينهما على الإطلاق. كانوا يقولون أشياء عني، وعن آخرين يشبهوني، أشياء لم تعكس واقعنا وتجاربنا أبداً بأي صورة صحيحة ومعقولة.

الحديث عن الاستشراق يعني الحديث عن مشروع ثقافي، سياسي، إمبريالي غربي، موضوع دراسته وما يُعنى به الشرق، وعلى وجه التحديد الإسلام والعرب.

ولا يمكننا المرور دون الحديث عن الاستشراق .

المبحث الأول : مفهوم الاستشراق عند الدارسين

1 - تعريف الإستشراق عند الدارسين:

لقد أخذ موضوع الاستشراف حيز كبير في تفكير العلماء والكتاب والمفكرين، في العالم الغربي والعالم العربي، ولقد صدرت كتب تتناول الاستشراف من حيث التعريف والنشأة والأهداف والمقاصد والمناهج ومن أجل وضع مفهوم دقيق حول هذا الموضوع لابد من التطرق اللغوي والاصطلاحي عند العرب وعند الغرب.

تعريف الإستشراق لغة:

نجد كلمة استشراق في اللغة العربية مأخوذة من كل شرق إذ نجدها في معجم الوسيط "شرقت الشمس شرقا وشروقا إذا طلعت"[1].

ونجدها أيضا في لسان العرب "شرقت الشمس تشرق شروقا، وشروقا طلعت وإسم الموضع المشرق والتشريق: الأخذ من ناحية المشرق، يقال شتَّان بين المشرق والمغرب، وشرقوا: ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق"، إذ أنّ هذا معنى الأصل "شرق" عند إضافة الحروف الثلاث الألف، السين، التاء،" يصبح معناها طلب الشرق وليس

[1] **معجم الوسيط، ج1، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية،ط 4، 2004، ابن منظور، لسان العرب.**

طلب الشرق طلب علوم الشرق و آدابه ولغاته وأديانه" [1]، وللبحث أكثر في هذا الموضوع لابد من البحث عن كلمة إستشراق في المعجم اللاتيني ونجدها كالآتي:

Orient: يتعلم أو يبحث عن شيء ما، وبالفرنسية تعني orienterوجَّه أو هدى أو أرشد، وبالإنجليزية oreintation, orientate تعني توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي[2].

تعريف الإستشراق اصطلاحا:

عند العرب لقد صاغ العلماء الغرب العديد من المفاهيم "للإستشراق "سنذكر بعضها حيث يقول في هذا الصدد أحمد حسن الزيات « يراد بالإستشراق اليوم دراسة الغربين لتاريخ الشرق أممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداتهوأساطيره ولكن في العصور الوسطى كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين، ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم.....»[3].

ويرى أيضا أحمد عبد الحميد غراب "الإستشراق" هو دراسات أكاديمية يقوم بها الغربيون الكافرون، من أهل الكتاب بوجه خاص – للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب، عقيدة و شريعة وثقافة.... بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه... وفرض التبعية للغرب عليهم...–[4]

ويقول مالك بن نبي أنه يجب أولا أن نجد المصطلح: إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي ثم علينا أن نصنف أسمائهم في شبه ما يسمى "طبقات" على صنفين:

---

[1]مازن بن صالح، الإستشراق، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود.

[2]مازن بن صالح، مصدر نفسه، ص 3.

[3]أحمد الإسكندراني وآخرون، المفصل في تاريخ الأدب العرب، ج2، ص 408.

[4]أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للإستشراق، ط 2، بير منجهام 1411، ص 07.

الأول: من حيث الزمن طبقة القدماء مثل جرير دورباك والقديس توما أكويني وطبقة المحدثين مثل كاردوفو وجولد سهير.

الثاني: من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين في كتباتهم فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها والمشوهين لسمعتها[1].

ومنه فإن الإستشراق حركة قام بها الغرب من أجل دراسة الشرق في شتى المجالات (الثقافية، العلمية، التاريخية، الحضارية، السياسية.....)، وهناك من فهم الإستشراق وكل ما يمت إليه بصلة وهناك من رأى أن الإستشراق هو جهد علمي لدراسة الشرق.

أما لقد كان الغرب هم السباقون في الكتابة عن "الإستشراق" وذلك من خلال الدراسات التي قامت بها المعاهد والكليات والأقسام العلمية ويتطرق في هذا الجانب آربريحيث يقول: « والمدلول الأصلي لاصطلاح "مستشرق" كان سنة 1638م (أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية) وفي سنة 1691م» وصف "أنتوني وود صمويل كلارك" بأنه « إستشراقي نابه»، يعني ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية وبيروت في تعليقاته على Childe Haroldspilgimage يتحدث عن المستر تورنتور وإلماعته الكثيرة الدالة على الإستشراق[2].

ونستخلص من خلال ما سبق أن المستشرقون كتبوا في شتى القضايا التي تخص الشرق بصفة عامة (اجتماعية، دينية، سياسية، اقتصادية.....)، وذلك للعديد من الأهداف والمصالح هناك من عابها لأن المستشرقين نقلوا صورة سلبية عن المشرق بل ويعتريها التشويه والتضليل وجعلوا الشعوب الشرقية في وضعية تائهة، وعلى العكس جعلوا من صورة الغربي والأوروبي صورة نضيفه براقة خالية من أي شوائب، ودائما ما كان الغربي هو البطل الذي سينقض الشرق.

---

[1] يحى مراد، من قضايا الإستشراق بحوث ودراسات، ص 31.

[2] لوج أربري، المستشرقون البريطانيون، تعريب محمد الدسوقي النويهي، لندن، ويليام كوليز، 1946م، ص 8.

وفي ذات السياق هناك من رأى أن الإستشراق إنما هو جهد علمي لدراسة الشرق والغاية هي العلم والمعرفة.

المبحث الثاني: الأنساق الثقافية وأنواعها.

مفهوم النسق:

1 – **لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور لفظة "نسق"، النسق من كل شيء: « ما كان على طريقة نظام واحد عام الأشياء وقد نسقه تنسيقا».

أما النحويون يسمون حروف العطف حروف التسق، لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعد جرى مجرىً واحدًا»

والنسق: العطف على الأول والفعل كالفعل وثغر النسق وخرز النسق أي منتظم[1].

ويعرف في معجم الوسيط: النسق ما كان على نظام واحد من كل شيء، يقال جاء القوم نسقًا، وزعت الأشجار نسقًا، ويقال كلام نسق متلائم على نظام واحد وحروف النسق هي حروف العطف»[2]

أما عند الزمخشري فقد وردت لفظة نسق في كتابة أساس البلاغة على النحو الآتي: « نسق الدُرَ وغيره ونسقه، والذرَّ منسوق ومنسق، ونسق وتنسقت هذه الأشياء وتناسقت، وقد تناسق كلامه وجاء على نظام...»[3]

مفهوم النسق الثقافي: من أجل وضع وتحديد مفهوم النسق الثقافي لابد لنا من التطرق إلى الفصل بين معنى النسق ومعنى الثقافة وتعريف كل مصطلح لوحده ومنه التفصيل فيهما لغة واصطلاحًا

ومنه فإن النسق حسب ابن منظور هو "ونسقه نظمه على السواء، وانتسق هو وتناسق، والإسم النسق، وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت.

---

[1]إبن منظور، معجم لسان العرب، مج 10، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ص 352.

[2]معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م، ص 919.

[3]الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، ج2، منصورات محمد علي بيقون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 24.

والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق، لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعد جرى مجرىً واحدًا، وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ناسقوا بين الحج والعمرة، قال شمر: معنى ناسقوا وواتروا، يقال ناسق بين الأمرين أي تابع بينهما، وثغر نسق إذا كانت الأسنان مستوية، ونسق الأسنان: انتظامها في النبتة وحسن تركيبها، والنسق: العطف على الأول والفعل كالفعل، وثغر نسق وخرز نسق أي منتظم، قال أبو زبيد: بجيد ريم كريم زانه نسق، يكاد يلهبه الياقوت إلهابا والتنسيق: التنظيم، والنسق ما جاء في كلام العرب تقول لطوار الحبل إذا امتد مستويا: خذ على هذا النسق أي على هذا الطوار، والكلام إذا مسجعا، قيل: له نسق حسن، ابن الأعرابي: أنسق الرجل أي تكلم سجعا، والنسق: كواكب مصطفة خلف الثريا، يقال لها الفرود، فيقال رأيت نسقا من الرجال والمتاع أي بعضها إلى جنب بعض"[1]

ويعرف مجمع الوسيط: " النسق ما كان على نظام واحد من كل شيء، يقال جاء القوم نسقا، وزرعت الأشجار نسقًا.. ويقال كلام نسق متلائم على نظام واحد، وحروف النسق هي حروف العطف»[2]

أما عند الزمخشري فقد وردت لفظة نسق في كتابه أساس البلاغة على النحو الآتي: « نسق الذرّ وغيره ونسقه، والدرَّ والذرَّ منسوق ومنسق.... وقد تناسق كلامه وجاء على نظام واحد»[3].

ومنه فإن النسق لغة معناه انتظام الأشياء وتواترها وتتابعها، والنسق يعني التنظيم الذي يكون داخل بنية واحدة.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص 353.

[2] مجمع اللغة العربية، مجمع الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م، ص 919.

[3] الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، ج 2، منشورات محمد علي يفون، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 26- 27.

يحتل مصطلح الأنساق مكانة أساسية في لسانيات الخطاب، ولقد عرف " ما يتولد عن تدرج الجزئيات في سياق ما، أو ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبيئة، إلا أن لهذه الحركة نظام معينًا يمكن ملاحظته وكشفه كأن نقول "إن هذه الرواية نسقها الذي يولده توالي الأفعال فيها أو أن هذه العناصر المكونة لهذه اللوحة من خيوط وألوان تتألف وفق نسق خاص بها"[1]

ولقد عرف المعجم الفلسفي النسق بأنه مجموعة القضايا المرتبة في نظام معين بعضها مقدمات لا يبرهن عليها في النسق ذاته وبعضها الآخر يكون نتائج مستنبطة من المقدمات"[2] ويعتبر أيضا ديسوسير من الأوائل الذين تحدثوا عن النسق وذلك من خلال تحدثه عن اللغة حيث يرى أن "العناصر اللسانية التي تكتسب قيمتها بعلاقتها فيما بينها، مستقلة عن بعضها"[3]

ومن خلال ما سبق نستنتج أن النسق له قواعد تتحكم فيه زليد مجموعة من الأفراد يخضع لسلفتهم من أفكار.

بعد هذا التعريف الموجز ننتقل إلى تعريف الثقافة.

الثقافة:

ثقف ثقِفَ الشيءَ ثُقفًا وثِقَفًا وثقوفة: حذَقهُ رَجُلٌ ثَقْفٌ وثَقِفٌ وثَقُفٌ: حاذِقٌ فهِمٌ، وأتبعوهُ فقالوا ثقفٌ لقْفٌ.

وثقف الرجل ثقافةً أي صار حذقًا حفيفًا، مثل ضَخْمَ هو ضَخْمٌ، ومنه المثاقفة.

وثقف أيضا ثقفًا مثل تعب تعبًا، أي صار حاذِقًا فطنًا، والثقافُ والثقافةُ العمل بالسيف قال:

---

[1]نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب والنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2006م، ص 39.

[2]مراد وهيبة، المعجم الفلسفي، دار قباء للطباعة والتشر، ط5، القاهرة، 2005م، ص 645.

[3]عبد العزيز حمودة، المرايا الحدبة من البنية إلى التشكيكية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة الكويت، 1997م، ص184.

وكأنّ لَمْعَ بروقها في الجوِّ أسيافُ المثاقفْ[1].

ويستحضر تعريفا آخر لفيروز بادي: « ثقفَ نكرُمَ وخَرِجَ، ثقفًا وثقفًا وثقافةً: صار حاذقًا حفيفًا فطنًا، فهو ثقفٌ كحبر وكثفٍ وأمير وندُسٍ وسكيتِ.

ونستنتج من خلال ما سبق ذكره أن مصطلح الثقافة يندرج تحت المعاني الآتية: الحذق، الذكاء والفطنة.

ونستنتج أيضا أنّ المعاني الآتية: الذكاء، الفطنة، الحذق تندرج تحت عنوان الثقافة.

ولقد شهد هذا المقطع الكثير من المفاهيم ولم يطبق بتعريف محدد.

الثقافة مجموعة من العلوم كالدين والأدب، التي تحمل فلسفة خاصة بها وتميز هذه العلوم الشمة الخاصة بالأمّة، كما أن الثقافة تدل على العادات والتقاليد الموروثة لأمة ما وانتقالها من جيل إلى آخر وقد يكون للتّوجيه الديني الأثر الكبير في تشكيل الثقافة، وقيل هي طريق الإنسان للوصول إلى الرقي والكمال نوعًا ما[2].

ولقد عرفها أيضا روبرت بيرستد « إن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف كل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في المجتمع»[3].

ومنه فإن الثقافة تتشكل حسب المجتمع وهي تختلف باختلاف المجتمعات في العالم.

---

[1]إبن منظور، لسان العرب، دار المعارف، دون طباعة، 1119، كورنيش النيل، القاهرة، ج م ع، ص 492.

[2]أحلام بكري، تعريف الثقافة لغة واصطلاحا، تد عفراء بكري، مجلة سطور، 26 أفريل 2021م.

[3]ريتشارد إلياس وآخرون، نظرية الثقافة، تر: علي السيد الصاوي، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني الثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1978م، ص 8.

مفهوم النسق الثقافي:

على الرغم من تحدد المفاهيم بخصوص يعرفه يوري لوتمان y. lotman«حيث اعتبر النسق دالاً على تاريخ الثقافة والأدب والفكر الاجتماعي، بصورة عامة»[1].

ومنه فإن ما يحدد الثقافةالإنسانية هي الأنساق، يرى عبد الله الغذامي في هذا الصدد أن: « يتحدد النسق عبر وظيفته وليس عبر وجوه المقرئ، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظمان من أنظمة الخطاب أحدهما ظهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضا وناسقا للظاهر »[2]. إذا فالنسق لا يتحدد إلى بتحديد الوظيفة وهو نتاج الثقافة.

ويعرفه الناقد الجزائري أحمد يوسف «بأنه نوع من المؤسسات ذات قاعدة اجتماعية وهذا ما يجعل للنسق سلطة على الأفراد فيتحكم في تفكيرهم وسلوكهم وتوجهاتهم»[3].

وفي الأخير يمكننا القول بأن الأنساق الثقافية تتحكم فيها فكر الثقافة والحضارة تحت ثوب النصوص من أجل خدمة أهداف ومصالح جهة معينة.

أنواع الأنساق الثقافية:

بعد ظهور النقد الثقافي الذي أتى كردة فعل على أدبية الأدب والتي تعزل النص عن المحيط الخارجي له، حيث قام النقد الثقافي بدراسة أعمق للنصوص من خلال الغوص في التفاصيل التي كانت مهملة من قبل، وكذلك دراسة الوجه الثاني للنصوص والرسائل المخفية والمشفرة التي يحملها النص بين طياته.

---

[1] فارق ثابن، النسق الشعري وبنايته، منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف المنهجي، مركز الكتاب الاسلامي عمان، ط1.

[2] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، ، ص11

[3] الأنساق الثقافية المفهوم والإنشغال.

إذا فالنقد الثقافي يكشف لنا عن نسقان رئيسيان هما: النسق المضمر والنسق العلني.

1 - الأنساق المضمرة:

إن النصوص الأدبية والشعرية تحمل في الحقيقة معاني غير التي تظهرها فهي في الحقيقة تحمل رسائل مشفرة تختبئ تحت رداء العمليات الفنية، وهنا يقول "عبد الله الخذامي" « ونحن لو تمعنا في (ديوان العرب) بناءا على مفهومنا حول الأنساق المضمرة لوجدنا أن الشعر كان هو المخزن الخطر لهذه الأنساق وهو الجرثومة المنشرة بالعمليات، والتي ظلت تفعل فعلها وتعزز نماذجها جيلا بعد جيل ليس في الخطاب الشعري فحسب بل في كل التجليات الثقافية بدءًا من النثر الذي تشعرن منذ وقت مبكر، وكذلك الخطاب الفكري والسياسي والتأليفي بمل فيه النقدي، وكذلك في أنماط السلوك والقيم و لغة الذات مع نفسها ومع الآخر، لقد تشعرنت الأنساق وصرنا فعلا الأمة الشاعرة واللغة الشاعرة، ولكنا فرحنا وتباهينا بهذه الصفة ليس سوى خدعة تنسيقية لم نعِ ضررها»[1].

ومن خلال ما سبق نستخلص أن عبد الله الخذامي قدم لنا أفكار جديدة وبذلك يكون قد قفز بتفكيره خارج الصندوق ليعطي معنى جديد في النقد الثقافي من أجل النهوض بالواقع العربي والتعليمي من التبعية الفكرية والسيطرة العقلية.

2 - النسق العلني

وهو عكس النسق الأول، حيث يكون ظاهر وواضح للقارئ العادي، ومنه فإن النسق العلني أكثر سهولة ووضوح من المضمر الذي يحتاج إلى التفكير والندبر والتحليل في النصوص.

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية،المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء، ط3، 2005م، ص 87- 88.

المبحث الثالث: مفهوم الاستشراق عند ادوارد سعيد

بفعل الإهتمام الكبير الذي اهتم به علماء الغرب بالسترة، حيث نحوه أكثر في الميدان ، قاموا بدراسة الشرق بآدابه وكل علومه وعاداته وتقاليده وتاريخه وثقافته، وذلك للعديد من الأهداف والمصالح، ومن بين أبرز من تطرق لهذا الموضوع وحلله تحليلاً علميا الباحث إدوارد سعيد حيث قدم مساهمة عميقة في نقد الإستشراق، ويقشد ذلك جليا في كتابة الإستشراق حيث قال: «وهكذا فليس الإستشراق مجرد موضوع أو مجال سياسي يتجلى بصورة سلبية في الثقافة أو البحث العلمي أو المؤسسات وليس أيضا مجموعة كبيرة غير مترابطة من النصوص المكتوبة عن الشرق، بل إنه الوعي الجغرافي السياسي المبثوث من النصوص العلميةوالإقتصادية والاجتماعية والتاريخية اللغوية، وهو تطوير تحصيلي ليس فقط للتمييز الجغرافي الأساسي (الذي يقول إن العالم ينقسم إلى نصفين غير متكافئين هما الشرق والغرب)، بل أيضا لسلسة كاملة من المصالح التي يستعين لتحقيقها والحفاظ عليها بشتى الوسائل مثل نتائج البحوث العلمية وإعادة البناء اللغوي القديم والتحليل النفسي، وصف الظواهر الطبيعية والمجتمعات، وهو قبل كل شيء "خطاب " لا يرتبط مطلقا بعلاقة مباشرة بالسلطة السياسية السافرة وموازية لها، بل إن ذلك الخطاب يأتي إلى الوجود ويحيا في إطار التبادل المتقلب مع شتى أنواع السلطة فيتشكل إلى حدكبير من خلال مبادلاته مع السلطة السياسية (مثل المؤسسات الإستعمارية أو الإمبريالية) السلطة الفكرية مثل (العلوم السائدة كاللغويات المقارنة أو التشريع أو أي من العلوم السياسية الحديثة)، والسلطة الثقافية (مثل المناهج الصحيحة والمعتمدة لذوق والنصوص والقيم)، والسلطةالأخلاقية (مثل الأفكار الخاصة بما نفعله "نحن" ولا يستطيعون "هم" أن يفعلوه أو مثلنا "نحن") والواقع أن حجتي الحقيقية هي أن الإستشراق بعد مهم من أبعد ثقافتنا السياسية الفكرية الحديثة، أي أنه

ينفصل على "تمثيل" صورة هذا البعد وبهذه الصفة نرى أنه يتصل بعالمنا "نحن" أكثر مما «يتصل بالشرق »[1].

إذا فلإستشراق هو حركة علمية قام بها الغرب من أجل دراسة الشرق دراسة تفصيلية، لها أهداف ظاهرة وخفية، لقد حدد إدوارد سعيد الإستشراق ضمن ثلاثة مفاهيم:

أولا: مفهوم أكاديمي يدرس ويعالج الشرق وفق المميزات والسمات العامة له « وما أيسر التعريفات المقبولة للإستشراق فهو مبحث أكاديمي بل أن هذا المفهوم لايزال مستخدمًا في عدد من المؤسسات الأكاديمية، فالمستشرق كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء البحوث في موضوعات خاصة بالشرق، سواءا كان ذلك في مجال الإنثريولوجيا أي علم الإنسان أو علم الاجتماع أو التاريخ وسواء ذلك كان يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة والإستشراق وصف لهذا العمل[2].

أما المفهوم الثاني للإستشراق فهو يتعلق بالجانب الفكري الذي يستند التمييز الوجودي والفكري حيث يقول إدوارد سعيد «الإستشراق معنى أعم وأشمل يتصل بهذه التقاليد الأكاديمية... فالإستشراق أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يمسى الشرق وبين ما يسمى الغرب»[3].

أما المفهوم الثالث هو الإستشراق الأسلوبي الذي يهدف للسيطرة على الشرق وإعادة هيكلته وبناء نُظمه وفقا للمنظور الغربي من خلال فعل التسلط،فالإستشراق أسلوب غربي للهيمنة على الشرق وإعادة بنائه والتسلط عليه[4].

إذا فالمعنى الثالث الاستشراق حسب ادوارد سعيد هو «معنى يستند في تعريفه إلى

---

[1] إدوارد سعيد، الإستشراق (المفاهيم الغربية للشرق) تر: محمد عناني، دار بنحوين العالمية، ط1، القاهرة، 2006م، ص 58- 59.

[2] المرجع نفسه، ص 44.

[3] إدوارد سعيد، الإستشراق، ص 45.

[4] المرجع نفسه، ص 46.

عناصر تاريخية ومادية أكثر مما يستند إلى المعنيان الآخران....»[1].

ومنه فالإستشراق الذي يحمله هذا المفهوم هو أسلوب غربي لتسلط والسيطرة من طرف السلطة وهو مدعوم من طرف المؤسسات الإستعمارية.

إذا فالإستشراق سبب رئيسي لشرخ الحضاري الحاصل الغرب والشرق وبناء حضارتهم على جماجم الشعوب المقهورة.

وتناول هذا الموضوع أيضا عبداللطيف عبارة حيث قال فالشرق جزء لايتجزأ من الحضارة الأوربية والإستشراق يعبر عن هذا الجانب ويمثل ثقافيا بل وفكريا، باعتبار الإستشراق أسلوبًا للخطاب أي التفكير، والكلام تدعمه مؤسسات ومفردات وبحوث علمية وصورة مذاهب فكرية بل بيروقراطيات وأساليب استعمارية[2].

اليات الخطاب الاستشراقي عند ادوارد سعيد:

يعد كتاب الاستشراق للناقد إدوارد سعيد محاولة في مجال النقد الثقافي سعى من خلالها إدوارد سعيد إلى دراسة العلاقة القائمة بين العالم الإسلامي والعالم ما بعد الكولونيالي وبين الأمبريالية الأوربية والأمريكية "فالاستشراق عند إدوارد سعيد هو نظام من القول به قواعده وقدراته على إنتاج المعرفة التي كثيرا ما تستمد مصداقيتها من القواعد التي تحكمها وليس من مطابقة تلك المعرفة كما هو حاصل أو واقع".[3]

فإدوارد سعيد يرى بان الاستشراق عبارة عن قول منظم ومضبوط وفق قواعد، هذه القواعد التي تنتج معرفة تستمد مصداقيتها من هذه القواعد، فهذه المعرفة لا تطابق الواقع بل تخضع للقواعد التي تنظم القول حسب إدوارد سعيد.

---

[1] إدوارد سعيد، الإستشراق (المفاهيم الغربية للشرق) تر: محمد عناني، دار بنحوين العالمية، ط1، القاهرة، 2006م، ص45.

[2] عبد اللطيف عبارة، صفحات مشرقة، من نكرة، مالك بن نبي، دار الشهاب للطباعة، باتنة، ط1، 1984م، ص 64.

[3] عبد الرحمان عبد الله، النقد الثقافي في الخطاب العربي "العراق أنموذجًا"، دزارة، العراق، ط، بغداد، 2012، ص 54.

كما يعد كتاب الاستشراق حامل لفكرة التهجين (أي اختلاط الثقافات، كما يعتبر كتاب الاستشراق، فتحا جديدا في مجال الدراسات الثقافية).

"بحيث أن سعيد وبحكم أنه عايش واقعين، واقع عربي شرقي ولد فيه ويعكس هويته، وواقع غربي عايشه بكل مفارقاته واختلافاته بالنسبة للأرض الأم، جعل من قراءته لكتابات المستشرقين تختلف كل الاختلاف عن باقي القراءات الأخرى للمفكرين العرب، تحمل بُعدًا سياسيًا يهدف إلى فضح السلطة الغربية التي تخدم مركزية الغرب".[1]

إن اختلاف كتابات إدوارد سعيد عن باقي المفكرين العرب راجع إلى نشأته وثقافته المزدوجة (العربية الغربية) هذه الهجنة الثقافية لإدوارد سعيد جعلت أفكاره تحمل بُعدًا سياسيا حاول من خلاله فضح والكشف عن الهيمنة الغربية بحكم أنه قرأ أفكار الغرب نتيجة لنشأته في البيئة الغربية، وهنا استطاع إدوارد سعيد الكشف عن النسق الخفي في الخطاب العربي وذلك من خلاله كتابية الاستشراق والثقافة والأمبرالية.

"يمثل الاستشراق بالنسبة لإدوارد سعيد سردية كبرى تغيب فيها حقيقة المعرفة التي تحويها سائرا في ذلك على نهج ليونار بما بعد الحداثة، فالأزمة التي وقعت فيها فلسفة الميتافيزقيا جعلت الثورة تقوم على زعزعة ثبات كل ما هو ثابت وقار، ولعل الحقيقة الوثوقية التي ميزت المعرفية الاستشراقية إحداها، وذلك من خلال ما توصل إليه إدوارد سعيد من كشف لعلاقات مضمرة بين المعرفة والسلطة الكولونيالية، وإثباته أن "الاستشراق في جوهره مذهب سياسي فرض فرضا على الشرق لأن الشرق كان أضعف من الغرب".[2]

---

[1] سعاد طيباوي، إدوارد سعيد والخطاب الاستشراقي، الحوار المتمدن، العدد 4705، https :www.ahewor.org:2015/1/31

[2] صورية مكاملية، طالبة دكتوراه، إدوارد سعيد وتفكيك الخطاب الكولونيالي، قراءة في كتابي الاستشراق والثقافة والأمبريالية، جامعة العربي التبسي، تبسة، ص 36

الجزء التطبيقي

الفصل الثاني :

تجلي النسق الثقافي الخفي في كتاب الإستشراق

1-بطاقة قراءة عامة عن الكتاب

2- وصف الكتاب

3- الأنساق الثقافية والصورة النمطية عن الشرقي.

4- تجليات الأنساق الثقافية في كتابات المستشرقين

1- بطاقة قراءة عامة عن الكتاب

لمحة عن صاحب كتاب الاستشراق

ولد إدوارد سعيد في القدس 1 نوفمبر 1935 لعائلة مسيحية وكان أبوه فلسطيني أمريكي وأمه فلسطينية لبنانية وكانت مسيحية.

بدأ دراسته في كلية فيكتوريا في الإسكندرية في مصر، ثم سافر سعيد إلى الولايات المتحدة كطالب، وحصل على درجة البكالوريوس من جامعة برنستون عام 1957 م ثم الماجستير عام 1960 والدكتوراه من جامعة هارفارد عام 1964 م.

قضى سعيد معظم حياته الأكاديمية أستاذا في جامعة كولومبيا في نيويورك، لكنه كان يتجول كأستاذ زائر في عدد من كبريات المؤسسات الأكاديمية مثل جامعة يايل وهارفرد وجون هوبكنز.

تحدث سعيد العربية والإنجليزية والفرنسية بطلاقة، وألم بالإسبانية والألمانية والإيطالية واللاتينية.

إدوارد سعيد هو من أتباع الكنيسة البروتستانتية الإنجيلية.

بالإضافة إلى كونه ناقدًا أدبيًا مرموقًا، فإن اهتماماته السياسية والمعرفية متعددة واسعة تتمحور حول القضية الفلسطينية والدفاع عن شرعية الثقافة والهوّية الفلسطينية، وعن عدالة هذه القضية وحقوق الشعب الفلسطيني.

كما تتركز اهتماماته والموضوعات التي يتناولها على العلاقة بين القوة والهيمنة الثقافية الغربية من ناحية، وتشكيل رؤية الناس للعالم وللقضايا من ناحية أخرى.

ويوضح إدوارد سعيد هذه المسألة بأمثلة عديدة وبتفاصيل تاريخية في مسألة الصهيونية، وترعرعها في الغرب، ونظرة الغرب إلى العرب والإسلام والمسلمين وثقافات العالم

الأخرى.

ويشرح إدوارد سعيد كيف أن الإعلام الغربي والخبراء وصنّاع السياسة الغربية والإمبريالية الثقافية الغربية تتضافر كلها لتحقيق مصالح غربية غير عادلة في نهاية المطاف، وذلك عن طريق إيجاد خطاب غربي منحاز ثقافيًا إلى الغرب ومصالحه.

2- وصف الكتاب

قسم ادوارد سعيد كتابه 560 صفحة لثلاثة فصول رئيسية... 1-الإستشراق وفصل فيه حول مدى معرفة الغرب حول الشرق، تلك المعرفة الباهتة التي ألزمت الشرقي صفة الجاهل وغير عارف بمصالحه. وأن الغربي أكثر دراية بها هذا ما حاول تبريره بلفور لغزو مصر. وتحدث عن مشروعات عن مشروعين سبقا غزو نابليون لمصر. أنكتيل الذي ترجم الأفستا وترجمة الأوبانيشاد ومنها ربط بين الشرق والغرب فاكتسبت آسيا لأول مرة بعدا فكريا وتاريخيا دقيقا. ثم جاء وليم جونز الذي جاء بعد انكتيل ووضع قواعد التحليل والتصنيف والمقارنة. 2- أبنية الاستشراق وإعادة بنائها وتحدث عن ساسي الذي اختير لوضع لوحة عامة عن تقدم العلوم والفنون من قبل المهد الفرنسي المكلف من قبل نابليون. ثم رينان الكاره للسامية مع فقه اللغة. 3- الاستشراق الآن تحدث عن الانجلوفرنسي ومن ثم الوريث لهم الامريكي.

"قراءة كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد تعطي استنتاجاً تدريجيّاً بأن الكتاب يمثل خطاباً فكريّاً بليغاً أكثر منه نصّاً مكتوباً بروحٍ علميةٍ خالصةٍ، فليس هو بحثاً منهجيّاً يستقرئ كتابات المستشرقين للكشف عن الموقف الثقافي المرتبط بالسلطة مثل ما ذهب إليه بعض النقاد، ولا هو مجرد سياحةٍ تأمليةٍ محمّلةٍ بإسقاطاتٍ أيديولوجيةٍ، تغذيها تجارب الكاتب الشخصية، ولواعجه النفسية.

النقطة الأساسية التي يثيرها هذا البحث هي أن إدوارد سعيد استطاع أن يحرز نجاحاً مذهلاً في جعل كتابه الاستشراق مقروءًا على الصعيد العالمي والغربي على وجه الخصوص بسبب موقعه الأكاديمي المرموق، هذا الموقع الذي استثمره الكاتب خير استثمارٍ في مجال ربط المعرفة بالسلطة، وكذلك بفضل قدرته الباهرة على «مخاطبة» النخبة والجمهور على السواء بلغةٍ انكليزيةٍ فذةٍ يحسده عليها حتى كبار الكُتّاب الإنكليز . من العرض السابق نخلص إلى أن إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق كان أديباً ملتزماً بأداء رسالةٍ سياسيةٍ أو أخلاقيةٍ أكثر منه ناقدًا في موضوعٍ أدبيٍّ صرفٍ يقتضي تغليب العلم على ما عداه. وأغلب الظن أن النجاح الذي أحرزه الكتاب مردُّه إلى هذا المنهج الصادم الذي اتّبعه المؤلف باحترافيةٍ عاليةٍ حينما لم يعمد إلى تصنيف موضوع الاستشراق إلى أنواعٍ أو أشكالٍ مختلفةٍ على غرار ما اتّبعه السابقون من المشتغلين بهذا الحقل المعرفي، بل اكتفى إدوارد سعيد بتقديمه جملة واحدةً، والحكم عليه حكماً مطلقا"[1]

[1]"أ. د. لطيف نجاح شهيد القصاب،"الاستشراق في فكر إدوارد سعيد قراءة في منهج الخطاب" اسم المجلة : دراسات استشراقية،العدد:17 ، السنة الخامسة، شتاء 2019م / 1440هـ

3- الأنساق الثقافية والصورة النمطية عن الشرقي.

جسد إدوارد سعيد في كتابه **الاستشراق** مناقشاته لدراسة الاستشراق الغربي، خصوصا منها التي اعتنت بثقافة الشرقيين، وقد ساعده على ذلك شدة إتقانه الفرنسية والإنجليزية والعربية وحصوله على شهادة الدكتوراه في الأدب المقارن واللغة الإنجليزية من جامعة هارفارد. هذه المعطيات التي اتسمت بها شخصية إدوارد سعيد، أعطته كفاءة ومهنية عاليتين لربط الاستشراق بالمجتمعات الإمبريالية، مستنتجا نظريته، التي حاربه عليها الجميع، بمن فيهم بعض المثقفين العرب، التي تصف أعمال الإستشراق بالأعمال السياسية الخاضعة للسلطة .

يرى إدوارد سعيد أن العلاقة بين الغرب والشرق هي علاقة يمكن تتويجها بمفهوم القوة والسيطرة بصورة معقدة ومتشابكة وفق المعطيات التاريخية. وعليه، فهو يؤكد أن الاستشراق ليس عنصرا من عناصر الثقافة السياسية الحديثة، بقدر ما هو العنصر الأوحد فيها. هذا المنحى، كما بدا لنا، هو الذي دفع إدوارد سعيد إلى التعمق والتفكير بالاستشراق بوصفه حالة حيوية بين الأفراد كمؤلفين والمؤسسات السياسية التي كانت نتاج بريطانيا وفرنسا وأمريكا. هذه الدول الثلاث المتصفة بالإمبريالية والاستعمار والهيمنة هي، حسب إدوارد سعيد، التي انتجت الاستشراق بصورته الحرفية التي تحددت بحدودها الفكرية. من هنا، أراد سعيد . كباحث . ان يكون فعالا لفهم تفاصيل هدا الفكر والانطلاق من مفاهيمه لفهم العالم.

ولد الاستشراق بفعل الاهتمامات الكبرى التي أولتها أوروبا لبلدان ما وراء البحار، وأرَّخ العلماء لهذا الاهتمام الغربي بالشرق ببداية الحملة النابليونية على مصر، لكن في إطار اهتمام الغرب بالشرق على العموم فإن البدايات ترجع الى القرن 16 الميلادي وقبله بكثير، وقد حدد مكسيم رودنسون مولد الاستشراق في الغرب بتاريخ 1779 حيث ظهرت هذه الكلمة لأول مرة بإنجلترا. في القرن 19 جرت أحداث مهمة "لعلم الاستشراق" فقد

كون محمد علي دولة مصر، وبدأ يفكر في تكوين الدولة الوطنية على طراز الغرب، وأرسل العديد من البعثات الأزهرية إلى فرنسا، وكانت تجربة "محمد علي" عامة على العالم الإسلامي برمته.

"من باب إذا أردت أن تتقن فنا فألف فيه، سأحاول من خلال هذا المقال ان أبدي وجهة نظري حول موضوع "الاستشراق" من خلال ما كتبه ادوارد سعيد حول هذا الموضوع، هذا الرجل الذي ألف كتبا كثيرة حلل من خلالها اهتمام الغرب بالشرق ومن أهم كتبه التي تعلق بها المفكرون المسلمون وانتقدها المستشرقون كتابه الشهير: "الإستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء"، وله كتاب أخر لا يقل أهمية بعنوان: "تغطية الإسلام"، سعى من خلالهما الى توضيح محاولة تغطية الغرب للجوانب الإيجابية والمشرقة للإسلام بحقائق أخرى."[1]

"قد يتساءل القارئ لهذا المقال لماذا ادوارد سعيد وليس غيره ممن كتبوا عن الاستشراق؟ الجواب بكل بساطة: لأن هذا الباحث يعتبر من أبرز من حلل علم الاستشراق تحليلا علميا، بحيث صبر على الاستشراق حتى نما واكتمل من هنا سهل عليه معالجته داخل مختبر مخيلته الذي يتكون من: اللغة الإنجليزية، المنهج التحليلي، الاستاذية الأكاديمية والاكتمال والنضج كما أشار إلى ذلك الأستاذ محمد خروبات في كتابه القيم حول الاستشراق، وبالتالي كل من أدلى بدلوه في هذا الموضوع من بعده لم يصل إلى ما وصل إليه ادوارد سعيد من نتائج."[2]

---

[1] عبد القادر الطرنيشي،مدونة الجزيرة6/3/2018، "الاستشراق في ضوء ما كتبهإدوارد سعيد" نقلا عن محمد خروبات ،"الاستشراق والعلوم الاسلامي بين نقلانية التأصيل وعقلانية التأويل".خروبات،ط1،م1ص 430

[2] المرجع نفسه.

لم يسلم ادوارد سعيد من الانتقادات حيث خوصمت كتبه من طرف المستشرقين والمستعمرين، ولمم يرحب به غير المسلمين لسبب واحد هو أن الكتاب تكلم عن الإسلام لا لغرض الدفاع عنه بل لغرض بيان كيف أن الإسلام بحضارته وتراثه وعلومه أصبح مفعولا به في اللغة الاستشراقية. بالنسبة لإدوارد سعيد، الاستشراق مشروع ناجح بالنسبة للغرب والخاسر فيه هو الشرق، ثم إنه لا مكان فيه للعمل الفردي، إنه عمل جماعي يمتلك هوية حقيقية، تراكمية، وجماعية وبالتالي فهو نوع من المعرفة التي لها منهج معين ومدرسة للتحليل والتفسير والمجال هو الشرق بكل مكوناته.

بالإضافة الى ذلك ورغم أن هناك استشراق إيجابي ويتمثل في: ان المستشرق جمع المخطوطات ورتبها وبوبها وحفظها في المكتبات الغربية فحقق وترجم، وأنشأ المعاجم والفهارس وسهل تقنية البحث العلمي إلا أن ادوارد سعيد خلص إلى انه لا يوجد ما يسمى " الاستشراق الموضوعي" أو الإيجابي، لأن كل ما يفعل وكل ما يقال عن أنه موضوعي له ارتباط بالمصلحة فقط وبالتالي فالاستشراق هو إيديولوجيا.

قد يكون ادوارد سعيد محقا من هذه الناحية بحيث انه لما كان الجيش الغربي يبحث عن الموارد الاقتصادية والسياسية، كان المستشرقون يبحثون عن الموارد الفكرية والثقافية والعلمية، فلما حققوا بعض التراث أصبحوا يشكلون الوساطة الفعلية بين المسلم وتراثه، لا ندري ربما أتلفوا بعض المخطوطات القيمة أو حرفوها أو سجنوها في أماكن لا نعرفها أو حرقت خلال الحربين العالمية الأولى والثانية، إنها السلطة بالمعنى الذي حدده ادوارد سعيد للكلمة.

فهذا التوجه لم يولد من فراغ لان المثقف الغربي دائما يبني دراساته على تساؤلات تجعله يبحث عن حلول لمعالجتها وهذا هو سر تفوقهم بحيث ان السؤال الذي حير بعض المستشرقين هو: ما سر جاذبية الإسلام وسرعة انتشاره؟ فهذا ليون فانتاني مثلا يؤلف كتابا عنونه ب "المصيبة الإسلامية" يتساءل فيه عن سر دخول الشعوب النصرانية الى

الإسلام وذاك مكسيم رودنسون يؤلف كتابا اخر عنونه ب "جاذبية الإسلام". هذه الطائفة من المستشرقين كان هدفهم ولا يزال هو: اعتبار الإسلام دين يجب محاربته لأنه يشكل عقبة أمام انتشار حضارتهم.

كان أول مدخل دخل منه المستشرقون إلى التراث الإسلامي والى القران بصفة خاصة هو المعجم فقدد كان هو رفيقهم في رحلة البحث في التراث ومنهم من فسر القران انطلاقا من معجم بسيط كان يملكه أمثال " رودي بارت" وقد ذهب الأمر ببعض المستشرقين أمثال casanova الى الاعتقاد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقم بعملية جمع القران قيد حياته لأنه كان يتوقع قرب نهاية العالم نظرا لوجود هذه الاية: (اقتربت الساعة وانشق القمر). هذا التفسير الضيق لبعض الأمور جعل بعض المستشرقين يتهمون من طرف المفكرين الإسلاميين بالافتراء والأوهام الواهية وبالتالي يشك في حسن نيتهم وبراءتهم العلمية.[1]

ومن الأوهام التي وقع فيها بعض المستشرقون أيضا هي: ادعى برودلي ان زيد عندما كلف من طرف ابي بكر الصديق بجمع القران في مصحف واحد كان يخرج الرقاع من الصندوق كيفما اتفق، ثم يكتب الوحي دون النظر الى الترتيب الزمني، وقد رد الاستاذ محمد خروبات على هذا المستشرق بقوله " إن ما يسترعي الانتباه هو غياب طرق البحث العلمي وقواعد المتابعة الدقيقة، إن الصندوق الذي كتب له أن يحضر هنا هو صندوق بودلي صندوق الإنشاء والكتابة التي يدخل فيها الوصف الاعتباطي مع الخيال غير المطابق للواقع".

---

[1]عبد القادر الطرنيشي مدونة الجزيرة 6/3/2018 "الاستشراق في ضوء ما كتبه إدوارد سعيد" نقلا عن محمد خروبات"الاستشراق والعلوم الاسلامي بين نقلانية التأصيل وعقلانية التأويل"".ط1،م1 ص 429

نعم في بعض الأحيان قد يقع الباحث الغربي المهتم بالمجال الإسلامي في بعض الأخطاء قد يعود مرجعها الى عدم فهم مفهوم السند فعلم الحديث مثلا قد حصنه علماء الحديث بالسند والضبط والعدالة وعلم الجرح والتعديل ولولا هذه العلوم لكثر القيل والقال في هذا الباب وقد صدق ابن المبارك حين قال: "لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء" والمستشرقون لما وجدوا الحديث قد جمع في مجاميع ومسانيد ووجدوا القران قد جمع بين دفتي المصحف مالوا إلى التاريخ وفي التاريخ تكثر التفاصيل، والأمثلة على ذلك كثيرة، فمثلا لما وجدوا ان السيرة النبوية لم تعطي الاهتمام الكبير لفترة ما قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم استغلوا هذا الفراغ لزيادة بعض الأحداث الغير الصحيحة بالمرة كقول بعضهم أن النبي محمد استمد تعاليم الدين الإسلامي من اليهودية عندما كان يقبل على راهب يهودي قبل البعثة!

"ما ذكره ادوارد سعيد تبدى واضحا في كتاب " تاريخ القران" لنولدكه، حيث لم تكن اللغة المستعملة في المعالجة مستقلة عن الميولات والمصالح والأهواء والأحقاد بل سخرت لخدمة مصالح الاستشراق وأهدافه ومن هذه الاهداف: نسف نولدكه لربانية القران وقدسيته وارجاعها الى الطبيعة البشرية."[1]

من ناحية أخرى يظن البعض أن محاولات المستشرقين ترجمة القران هي بهدف علمي نبيل ولكن إذا نظرنا الى المنسوبين على هذا التوجه سنلحظ أن هدفهم هو مزاحمة أي ترجمة حقيقية للقران الكريم بترجمة تلحق بمعاني القران الكريم تحريفا، وتجعل كل من قرأ الترجمة المحرفة يعتقد أن ما فيها هو ما في قران المسلمين، والأمثلة الشاهدة على ذلك كثيرة جدا فهذا بلاشير مثلا بين في مقدمة كتابه عن القران الكريم كيف ان ترجمته كانت

[1]عبد القادر الطرنيشي مدونة الجزيرة " الاستشراق في ضوء ما كتبه إدوارد سعيد6/3/2018"نقلا عن : محمد خروبات "الاستشراق والعلوم الاسلامي بين نقلانية التأصيل وعقلانية التأويل".ط1،م1 ص 428

بدافع الحقد الصليبي المعادي للإسلام وليست لهدف علمي كما يدعي البعض. وهذا جلادستون في تصريح مثير اما مجلس اللوردات البريطاني حيث امسك المصحف بيده وقال: "ما دام هذا الكتاب على الأرض، فلا سبيل لنا الى إخضاع المسلمين".

وهذا ما قصده ادوارد سعيد بقوله أن الاستشراق سياسة، و معرفة لها منهج معين لا مكان فيه للعمل الفردي انه عمل جماعي شارك فيها كل مكونات المجتمع الغربي: المفكر والمثقف باسم المناهج العلمية، الراهب والقسيس ورجل الدين والسياسي المحنك. وفي الختام هل يمكن اعتبار الاستشراق حملة صليبية جديدة أو دعوة بابوية تحاول طمس معالم العقيدة الإسلامية؟ أم هي ردة فعل تلتجئ الى القوة لرد الإعتبار لنفسها؟ إنها تعود الى الماضي التاريخي لتؤكد استمرار الأحداث.[1]

[1] **عبد القادر الطرنيشي، مدونة الجزيرة ، " الاستشراق في ضوء ما كتبه إدوارد سعيد6/3/2018"نقلا عن : محمد خروبات"الاستشراق والعلوم الاسلامي بين نقلانية التأصيل وعقلانية التأويل،".ط1،م1،ص 432/431**

4- تجليات الأنساق الثقافية في كتابات المستشرقين

يتحدث أحمد بن راشد بن سعيّد في احدى مدوناته لقناة الجزيرة الاعلامية بتاريخ 2014/03/14 عن ادوارد سعيد فيقول: <<عرفتُ إدوارد سعيد عندما كنت طالبا في الولايات المتحدة في أواخر الثمانينيات، وكنت أشاهده ضيفا على برامج تلفزيونية عدة. شدتني لغة الأستاذ الأميركي من أصل فلسطيني، وقدرته على المحاجة بتهذيب واقتدار في آن[1]>>.

ويضيف ايضا: << من أعماله التي ألهمتني الكثير "تناول الإسلام"، و "لوم الضحايا" (الذي اشترك في تحريره مع كريستوفر هيتشنز)، وصدر له في ما بعد كتاب "الثقافة والإمبريالية" (1993)، ولكن الكتاب الأشهر على الإطلاق كان "الاستشراق" الذي يوافق هذا العام ذكرى مرور 35 عاما على ظهوره لأول مرة عام 1978[2]>>

تُرجم الكتاب إلى عشرات اللغات، وحظي باهتمام منقطع النظير، وانتشرت قراءاته ومراجعاته في الدوريات العلمية وفي الصحافة، وما تزال أطروحاته تسهم في شرح العلاقة بين الشرق والغرب مضيفة الكثير إلى حقول الدراسات الثقافية والإعلامية، ومؤسسة لدراسات ما بعد الكولونيالية، وما بعد الحداثة، وملهمة البحث الاستقصائي في مجالات الثقافة الإمبريالية، وإنتاج المعرفة.

أمد عمل سعيد الباحثين والأكاديميين الغربيين بآلية تمكنهم من تحدي الأطروحات النمطية والتبسيطية للثقافات الأخرى، بما في ذلك مفهوم "صدام الحضارات"، بل إن

---

[1] أحمد بن راشد بن سعيّد، 35 عاما على الاستشراق،مدونة الجزيرة.2013/09/14.-https://www.aljazeera.net/opinions/2013/9/14/35

[2] المرجع نفسه.

"الاستشراق" بوصفه عملا تأسيسيا في مجاله، غيّر إلى حد كبير مقاربة الجامعات الغربية لدراسات الثقافات الأخرى غير الغربية.

لم تكن المعرفة الغربية بالشرق مبنية على حقائق، بل على أمثولات متخيلة مسبقا تنظر إلى المجتمعات الشرقية بوصفها شديدة الشبه ببعضها، وشديدة الاختلاف عن المجتمعات الغربية.

هذا الخطاب، الذي يؤسس لشرق متناقض مع الغرب، تجلى في نصوص أدبية ومدونات تاريخية، وفّرت غالبا فهما محدودا لحقائق الحياة في الشرق.

تمحورت أطروحة سعيد حول تقسيم "الاستشراق" للكون إلى قسمين: الشرق والغرب، أو القسم المتحضر، وغير المتحضر، تقسيم مصطنع تماما، أُسس بنيانه على مفهوم: نحن، وهم، ويعمل بوصفه عازلا جمعيا يشل التفكير الذاتي.

استخدم الأوروبيون الاستشراق ليعرّفوا أنفسهم، ويكتسبوا فرادة أو اختلافا. عرّفوا أنفسهم بوصفهم عنصراً متفوقا على الشرقيين، وأرسوا "كولنياليتهم" على هذا المفهوم. قالوا إن واجبهم يحتم عليهم "تمدين" العالم الباهت المفتقر إلى إكسير الحياة، ناسبين صفات محددة إلى الشرقيين، نقيضها تماما هو نمط الحياة عند الغربيين.

إذا كان العرب والمسلمون مثلا كسالى وقساة وأوغادا، فإن الغربيين تلقائياً يصبحون العكس. لا يمكن أن يحتل الأوروبي مكانا عاليا إلا إذا هبط الشرقي إلى الحضيض. "يتشكل التفكير بالمشرق من خلال استدعاء الرؤية الكونية الغربية، فيوصف الإسلام مثلا بـ"المحمدية"، نسبة إلى محمد صلى الله عليه وسلم، تماما كما يُنسب الدين المسيحي إلى المسيح.

المحمدية مصطلح أوروبي قديم لا علاقة له بالإسلام، ولا يوجد مسلم يصف نفسه بأنه "محمدي"، وبهذا فإن الغرب صنع صورا مصطنعة لا حقيقية عن الشرق

(artificiallycreated)، معبرا من خلالها عن تجربته وموروثه، أو هو قام بـ"شرقنة" الشرق الذي بدا كيانا أخرس غير قادر على تمثيل نفسه، فجاء المستشرق ليمثله بحسب رؤيته.

مفهوم "الأصولية" الشائع اليوم، وإسقاطه على الظاهرة الإسلامية من دون اعتبار للسياقات التاريخية والثقافية، يبدو أيضا من تجليات الاستشراق.

الأصولية في الأدبيات المسيحية هي حركة لاهوتية بروتستانتية ظهرت في الولايات المتحدة أواخر القرن التاسع عشر، وكانت تشدد على التمسك بحرفية الإنجيل، وعلى رفض أي تأويل لنصوصه"[1].

ثم تطور استخدام المصطلح ليتناول الجماعات الإسلامية. وصارت "الميديا" الغربية السائدة تروجه مستصحبة الصورة النمطية للأصوليين البروتستانت المتسمة بالتعصب والانغلاق. وهكذا تعيد "الميديا" إنتاج "الكليشيهات" الاستشراقية القديمة. والخلاصة، كما يقول سعيد، أن الغرب أراد توثيق الشرق، فانتهى إلى توثيق نفسه.

لعل أبرز ما جادل به سعيد هو أن الاستشراق بوصفه حركة علمية وسياسية لم ينطلق من منطلقات السعي الموضوعي لفهم الشرق، بل كانت أهدافه محددة مسبقا، وهي في مجملها أيديولوجية وعنصرية وإمبريالية.

منذ نهاية القرن الثامن عشر، عمل الاستشراق على اختزال الحضارة العربية الإسلامية في قوالب سهلة وثابتة (stereotypes) الأمر الذي خدم أهداف القوى الإمبريالية في السيطرة على الشرق.

---

[11]أحمد بن راشد بن سعيّد، 35 عاما على الاستشراق،مدونة الجزيرة.
https://www.aljazeera.net/opinions/2013/9/14/35-.2013/09/14

أنتج الرحالة والكُتّاب سلسلة من الصور تدور في مجملها حول انهماك الشرق في الفسوق، نزوعه إلى الاستبداد، عقليته الشاذة، سذاجته، تخلفه.

كانت صورة العالم العربي في اللوحات الفنية الفرنسية، والروايات الإنجليزية، وحتى في بعض الأعمال الأكاديمية خلال القرن التاسع عشر؛ صورة حافلة بالغرابة والخيال واللامنطق.

كان هناك أيضا تصوير للشرق بوصفه مكانا شهوانيا يوفر –كما يقول سعيد– "تجربة جنسية يتعذر الحصول عليها في أوروبا."

لاحظ سعيد في هذا السياق أن الأوروبيين نظروا إلى الشرق بوصفه ساحة للمتعة الجنسية ورموزها: الحريم، الحجاب، العبيد، الأميرات، والراقصات.

ولا يوجد كاتب أوروبي كتب عن الشرق، أو سافر إليه في الفترة بعد عام 1800 إلا بحث عن هذه التجربة: فولبير، ونرفال، وبيرتن، ولين، هم فقط أبرز الأسماء.

ظهر الشرق بوصفه عالما مليئا بالرغبة، لكنه مكبّل بالصمت، وعاجز عن التعبير، وبدا الجنس الذي يعد به هذا العالم، في نظر هؤلاء الرحالة والكُتّاب، مشوباً بالعنف والغموض .

النساء ثمرة "للخيال الجامح لدى الذكور، إنهن يبدين شهوانية مطلقة، وهن تقريبا حمقاوات، وقبل كل شيء جاهزات.(Orientalism, p.207, 197) "

هذه الصورة ليست بعيدة عن أهواء الإمبريالي: نساء عربيات/مسلمات يختفين وراء النقاب، ويعانين من الاضطهاد والكبت، ولذا يتطلعن بشغف إلى ذلك الأوروبي الأبيض القادم من وراء البحار ليمنحهن الدفء والأمان (مقارنة هذه الصورة الكلاسيكية بأساطير

الصحافة الغربية السائدة اليوم عن المرأة المسلمة في أفغانستان أو السعودية، قد تُظهر أوجه شبه)

اللوحات الفنية أسهمت أيضا في تدعيم ثنائية الشرق/الجنس، فالمرأة المسلمة المتوارية عن الأنظار تظهر عارية في هذه اللوحات، تحيط بها الوسائد والأرائك والعطور، وربما اشتملت على سيوف وخناجر ونصال قديمة مزخرفة بآيات قرآنية، وحلي نسائية، ودماء، تُستخدم في ربط الشرق بالجنس، وربط الجنس بعنف الرجل وتوحشه واستبداده.

حاول الاستشراق في مرحلة من المراحل أن يصور الشرق بوصفه مكانا رومانسيا ذا طبيعة بكر، وبحار نقية، وشواطئ فضية، وشمس ساطعة، ولذا فهو واعد بالطمأنينة وراحة البال.

الشرقيون يستمتعون بالطبيعة الهادئة، ولا يوجد ما يعكر صفوهم، أو بتفسير المستشرق: لا توجد تحديات تصقلهم، وتحفزهم على الإبداع، الأمر الذي يلقي مسؤولية أكبر على الرجل الأبيض ذي النظرة البعيدة ليضطلع بواجبه (The White Man Burden) ، ويقوم بتمدين الشرقي الذي لم تنضجه الحياة بعد.

صور نمطية شتى وُظفت في خدمة مصالح الحكومات الغربية وسياساتها، فظهر الشرق "فاقدا للحيوية والروح"، وفي أمسِّ الحاجة إلى إنقاذه بالحداثة، أو "الأوربة."

قبل عشر سنوات، كتب سعيد مقالا بمناسبة مرور 25 عاما على صدور كتابه "الاستشراق"، انتقد فيه النظرة العنصرية التي يصبح فيها الشرق "شرقنا" نحن نمتلكه ونديره، مؤكدا أنه لو كان الغرب مقتنعا أن الشعوب الأخرى ليست مثله، لما كانت هناك حاجة إلى الحرب على العراق أصلا[1].

[1] **موقع "كاونتر بنش"، 4 أغسطس/آب 2003**

العقيدة الإستشراقية القديمة ما تزال تحرك الخطط والإستراتيجيات الغربية من مدرسة الخبراء المحترفين الذين جندتهم هولندا إبان سيطرتها على ماليزيا وإندونيسيا، وجندتهم بريطانيا إبان استعمارها الهند ومصر وغرب أفريقيا، إلى المستشارين الحاليين للبيت الأبيض والبنتاغون الذين يستخدمون "الكليشيهات" ذاتها، النمطيات المهينة ذاتها، وتبريرات العنف ذاتها (القوة هي اللغة الوحيدة التي يفهمون.)

يطرح سعيد سؤالا عما إذا كانت الحقبة الاستعمارية قد انتهت، أم أن الشرق ما يزال يرزح تحت وطأة الإمبريالية منذ حملة نابليون على مصر قبل قرنين من الزمان، مشددا على فكرة المقاومة، أو حق الشعوب في أن تكون "مختلفة"، ومنسجمة مع ذاتها.

تتعرض المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة إلى هجمة عدوانية ومحسوبة، بسبب ما يقال عن تخلفها، وافتقارها إلى الديمقراطية، وانتقاصها حقوق المرأة؛ ولكن مفاهيم الحداثة والتنوير والديمقراطية –بحسب سعيد– ليست مفاهيم بسيطة وقطعية ومتفقا عليها.

الحرب على العراق تمثل في جوهرها واحدة من أكبر الكوارث في التاريخ، حيث هندست مجموعة من المسؤولين الأميركيين "غير المنتخبين" حربا إمبريالية على دكتاتورية "عالمثالثية" بناء على قواعد أيديولوجية، وسعيا إلى الهيمنة على الموارد الشحيحة، في الوقت الذي جرى فيه التكتم على الأهداف الحقيقية للحرب، وتبريرها من قبل حفنة من المستشرقين خانوا أمانتهم العلمية[1].

الحرب تذكر بحقيقة لم تغب يوما، وهي أن الاستشراق هو الذراع الثقافية للإمبريالية الغربية.

تأثرت إدارة الرئيس السابق جورج دبليو بوش إلى حد بعيد بأطروحات "خبراء" مثل برنارد

[1] **أحمد بن راشد بن سعيّد، 35 عاما على الاستشراق.مدونة الجزيرة.2013/09/14.-https://www.aljazeera.net/opinions/2013/9/14/35**

لويس، وفؤاد عجمي، تحذر من عقل عربي أهوج، وقرون من الانحدار الإسلامي، تملك أميركا وحدها تغيير مساره.

فجأة، واستجابة لإيقاع ما بعد الحادي عشر من سبتمبر نُفض الغبار عن كتب قديمة، وتدفق سيل من كتب جديدة تحمل عناوين صارخة حول "الإسلام والإرهاب"، و"الخطر العربي"، كتبها من يزعمون المعرفة، ويؤكدون أنهم سبروا أغوار الشرق، وتعرفوا عن كثب على طرائق تفكير شعوبه.

وأعادت جوقة الميديا السائدة والتي تشمل "فوكس نيوز" و "سي إن إن"، وعددا لا يحصى من الإذاعات اليمينية، إنتاج تلك التعميمات الهادفة إلى إثارة أميركا ضد "الشيطان الأجنبي."

ثمة فرق في رأي سعيد بين دراسة الشعوب من أجل فهمها والتعايش معها، وبين دراستها من أجل إخضاعها والهيمنة عليها.

لا يمكن تشكيل صورة عن العالمين العربي والإسلامي لا يظهر فيها سوى الإرهاب، والحرب الاستباقية، وتغيير النظام من طرف واحد، مدعومة بأكبر موازنة عسكرية في التاريخ، ومصحوبة بضخ دعائي واسع النطاق.

كل ما ينبغي أن يحدث من نقاش عقلاني، واعتراف بحق البشر في صناعة تاريخهم بأنفسهم، يتوارى أمام أفكار هلامية تحتفل بالتفوق الاستثنائي الغربي، وتنظر إلى الثقافات الأخرى بازدراء.

يدمر الاستشراق، من خلال قصف المواطن الغربي بسيل من الصور الجامدة "للآخر" الفاسد والقبيح، كل فرص التفاهم و"التقمص" الوجداني. الاستشراق، في جوهره إذن عمل عنصري ولا إنساني.

"الحل –في نظر سعيد– هو تفكيك الطابع الإمبريالي للثقافة، وتوظيف النقد المستمد من التوجه الإنساني لفتح مجالات الصراع، وتقديم سياق متواصل من التفكير والتحليل يحل محل ردود الفعل الآنية الغاضبة التي تعوق التفكير."[1]

الكلمة التي تصف هذا السلوك الرشيد هي "الإنسانية"، وتعني الفهم التأملي المتحرر من "الأغلال المكبلة للذهن"، كما يشير الشاعر الإنجليزي وليم بليك.

الخيار الإنساني هو خط المقاومة الأخير ضد الممارسات الوحشية، والمظالم التي تشوه التاريخ، وربما أسهمت ديمقراطية الإنترنت، ووسائط الميديا الاجتماعية، في تعبئة المجتمعات الإنسانية للدفاع عن قضايا تهم سكان الأرض كافة مثل الحريات، وحقوق الإنسان، وسلامة البيئة.

ما تزال أطروحات إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" وتعليقاته عليه تثير النقاش بعد مرور اكثر 40 عاماً على صدوره. وما تزال المقارنة بين العقيدة الاستشراقية القديمة، وبين التفكير السياسي الغربي تجاه المجتمعات العربية والإسلامية، تتجدد كلما حدث احتكاك أو اتصال بين الشرق والغرب.

يمكن لنا اليوم ببساطة أن نستدعي كثيراً من هذه الأطروحات ونحن نرى المخاض العسير للربيع العربي، وهو يصارع للبقاء في "مجتمع دولي" يعتقد كثير من أربابه أن الديمقراطية عنصرية الطابع، وأنها لا يمكن أن تنشأ وتزدهر في أرض غير أوروبية، وغربية تحديداً، أو تعيش على ثراها سلالات أوروبية، وهو بالضبط ما يقوله برنارد لويس. لهذا السبب لم يفقد كتاب "الاستشراق" وهجه الأكاديمي والمعرفي، ولا يبدو أنه سيفقده أبداً.

---

[1] **أحمد بن راشد بن سعيّد. 35 عاما على الاستشراق.مدونة الجزيرة.2013/09/14.-https://www.aljazeera.net/opinions/2013/9/14/35**

ويرى الباحث "خالد أحليلي" أن كتاب الاستشراق" لإدوارد سعيد" أحدث ضجة كبيرة نظرا للحمولة الفكرية والمعرفية التي يناقشها كسبب أول، ثم باعتبار الكاتب عربي الأصل ينتمي إلى بيئة وثقافة عربية، وتلقى تكوينا «غربيا" أمريكيا، فاعتبره النقاد لم يستطع التخلي عن أصوله العربية، وبالتالي فكتابه هذا ما هو إلا محاولة للانتصار والرد عن المستشرقين لا أكثر، لكن رد إدوارد سعيد جاء دقيقا وواضحا معتبرا أنهم لم يفهموا المغزى من كتابه هذا. وأنا شخصيا أرى أنه كان محقا في معالجته لمفهوم الاستشراق من خلال الطريقة التي اعتمدها تتمثل بالخصوص في المنهج البنيوي التفكيكي، وكذلك من خلال طريقته في تحليل الخطاب سواءً لمستشرقين أو لرؤساء دول أو لسياسيين مشهورين، فيبدأ الفصل الأول بخطاب ل "كارل ماكس" يصف فيه العرب بأنهم ".. لا يستطيعون تمثيل أنفسهم"، وكذلك مستشرقون أخرون يعتبرون أن الإنسان العربي ابن الصحراء يترك الممر الخاص بالراجلين ويمشي وسط الطريق، والإنسان المشرقي يتكلم كثيرا وكلامه غير مفهوم، وغير ذلك من الخطابات".[1]

"أعتقد اعتقادا لا يشوبه أدنى شك ومن خلال تحليلي لمجموعة من الخطابات سواءً التي اعتمدها إدوارد سعيد، أو التي بحثت عنها بنفسي لمستشرقين أخرين أنهم يعطون لأنفسهم الحق في فرض نمطهم الأجنبي على باقي الثقافات الأخرى، فذاك المستشرق الأمريكي ذو الثقافة الأمريكية والتكوين "الغربي" من أعطاه المشروعية لفرض نمطه واعتبار أسلوبه هو الصحيح، وذاك المستشرق الفرنسي الذي أخذ قلمه وبدأ يتحدث عن العراق ويصفها، ولم يدخل العراق قط، أليس هذا افتراء ولغو، هذا كله يضعنا أمام شيء مفاده أن بعض الدراسات الاستشراقية كانت الغاية منها تنميط المجتمع لا أكثر، وإدوارد سعيد في تعريفاته المتعددة للاستشراق أجمع على أن الاستشراق ما هو إلا محاولة السيطرة الغربية على

[1]خالد احليلي طالب باحث في الحضارات الشرقية، مدونة الجزيرة، الاستشراق بين ادوارد سعيد ونقاده،2019/08/05

الشرق بجميع الوسائل، وأنا شخصيا أوافقه الرأي وأضيف أن الدراسات الاستشراقية استغلت من طرف المستعمر، باعتبارها قدمت كمادة معرفية للساسة والعسكريين، لكن لا أنفي أن البعض منها جانب الصواب، فقد قدمت عرضا عن المستشرقة البريطانية كارين أرمسترونج والتي ألفت كتابها " محمد نبي لزماننا" وتحدثت فيه بأسلوب علمي وبطريقة أكاديمية.

خلاصة القول:

– الاستشراق في جانبه الأخر ما هو إلا محاولة سيطرة وهيمنة «الغرب" على "الشرق"

– ليست جميع الدراسات الإستشراقية كانت الغاية منها استعمارية"[1]

[1] **خالد احليلي طالب باحث في الحضارات الشرقية، مدونة الجزيرة، الاستشراق بين ادوارد سعيد ونقاده، 2019/08/05**

"يعتقد إدوارد أن مصطلح الاستشراق مع مرور الزمن بدأ يحمل مفهوما سلبيا مقرونا بالخيانة، والغريب في الأمر أنه اتهم من قبل بعض الأطراف الغربية والعربية أنه ضد الاستشراق بينما اتهم من طرف بعض السلط العربية بأنه يمثل التيار الاستشراقي، وعبر عن هذا التناقض بقوله: "مع مرور الزمن اكتسبت كلمة الاستشراق شهرة واسعة باعتبارها لفظة تجريح وتشهير، (ومن المفارقات اللاذعة أنني شخصيا هوجمت من قبل إذاعة ياسر عرفات الرسمية أثناء زيارة قمت بها لفلسطين عام 1996 بتهمة أنني مستشرق.) وذهبت أدراج الرياح التحديات المعرفية والأساسية التي جسدها الكتاب.

حاول إدوارد سعيد من خلال كتاب الاستشراق الوصول إلى نتيجة عامة، تكمن أصلا في القول ببطلان الحقائق التي يقدمها المستشرقون انطلاقا من القاعدة البنيوية التي ترى أن كل معرفة هي نتاج سلطة ما، والسلطة لا تنتج معرفة من أجل المعرفة بل تنتج معرفة من أجل المصلحة والهيمنة، وهذا يقود بعد عملية التّحليل إلى القول بأن الاستشراق يعبر عن معرفة السلطة لا سلطة المعرفة، بمعنى أن إنتاج المستشرقين يدخل ضمن لعبة التّمثلات والتّمثيلات الرامية إلى تشويه الخصم. وعندما نمارس منهج ميشال فوكو من خلال لعبة المنطوق واللامنطوق، يتبين لنا أن المنطوق الغربي يتمثل في المعرفة والعلم بالشرق، بيد أن اللامنطوق الغربي يتجلى فيما أورد سعيد حين يُفصح عن قناعة الغرب: "لا يستطيع المسلمون أو العرب، ولا أي شعب من الشعوب الصغرى التي سُلبت إنسانيتها، أن يتعرفوا على أنفسهم باعتبارهم بشرا." ويحيلنا هذا اللامنطوق الغربي إلى إدراك أن الغرب من خلال الدراسات الإستشراقية يريد أن يُعرف شعوب الشرق بحقيقتها من باب أنه الأجدر بالفهم لامتلاكه العلم والمنهج. وعليه، فالغرب ينظر إلى المسلمين

وغيرهم من الشعوب على أنهم قُصر ولا يملكون العقلانية لفهم ذواتهم بناء على أنهم شعوبا يحكمها الوجدان والانفعال، بينما أوروبا هي أرض العقل والبرهان".[1]

لا يخفى على أحد أن إدوارد سعيد ينطلق من فلسفة ميشال فوكو، وهذه الفلسفة نفسها مبنية على جملة من المنطلقات المُركبة من عدة نظريات سابقة، حيث تُعد فلسفة فريدريك نيتشه من أبرز مرجعياتها إضافة إلى الفلسفة السفسطائية القديم. عندما نخضع النص الإستشراقي للمنهج البنيوي وفق توظيف إدوارد سعيد فلا بد أن نقر ما يأتي:

– يهدف النص الإستشراقي إلى إعادة تشكيل الشّرق ليس كما هو وإنما كما يريد المُهيمن، أي تشويه الشّرق ونسج معرفة غير حقيقة عنه، وهنا يمارس المستشرق نوعا من الفصل غير العلمي بين الشرق التاريخي الحقيقي وبين الشرق المُشكل تشكيلا مخياليا بغية رسم شرق قابل لكل الاحتمالات التي يفترضها الغرب في صراعه مع غيره من أمم الجّوار.

– يعبرعن نزعة سلطوية مخفية ضمن مقولات العلم والحقيقة، ويتحول العَالم بالاسم إلى سياسي بالفعل.

– يفرض القول بنسبية النص الإستشراقي ارتباطه بالمكان والزمان أكثر من ارتباطه بالحقيقة.

– يفرض ربطه بمؤسسة مختصة في إنتاج النص وفق استراتيجية هادفة، تقوم على ثنائية العمل ضمن المنطوق واللامنطوق، وتقوم تلك السلطة وفق الرغبة "الميغالوثيموسية" [2] في تحقير الشّرقي ووصمه بالدّونية حتى تتولد لديه ما سماها مالك بن نبي سابقا ب"القابلية

---

[1] عبد القادر بوعرفة. القضايا الكبرى في كتابات ادوارد سعيد. مجلة دراسات استشراقيه. العدد 29. 2022/01/08.موقع المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية: https://m.iicss.iq

[2] المرجع نفسه.

للاستعمار"، يقول إدوارد سعيد: "الاستشراق بصفته المؤسسة الجماعية للتعامل مع الشرق –والتعامل معه معناه التحدث عنه، واعتماد آراء معينة عنه، ووصفه، وتدريسه الطلاب، وتسوية الأوضاع فيه، والسّيطرة عليه: وباختصار بصفة الاستشراق أسلوبا غربيا للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلط عليه."[1]

– "أن نقد الاستشراق هو نقد الاستعمار وكشف ألاعيبه ضمن حلبة الصراع الفكري. ثم نقد ما بعد الاستعمار باعتبار أن الهيمنة استمرت في أوجه جديدة أكثر ارتباطا بمقولات العلم والإنسانية. ذلك أن النظرية البنيوية في مسألة المعرفة تؤمن بالتغيّر وإعادة التمظهر وفق التّمثلات الطارئة من خلال حركة الوعي الغاضب والوعي الغاصب، وهما مقولتان مرتبطتان بحركة الميغالو والإيسو ضمن النزعة الغضبية الموسومة عند أفلاطون بالثيميس.

ومن خلال ما سبق، يصل إدوارد سعيد إلى استنتاجه التاريخي، والمتمثل في وجود نوعين من الاستشراق: الكامن والظاهر، وكلاهما ينتمي إلى المؤسسة الإمبريالية، فالتعريف الأكاديمي للاستشراق بات من صور الماضي، وفقد مصداقيته التاريخية حين تحول إلى علم استعماري استعلائي".[2]

""لقد تطلع سعيد دائمًا إلى الأناقة والصقل في الحجة. فهو يكتب قائلًا: "لقد دعوت ما أحاول فعله (بالإنسانوية)[3]"، وهي كلمة قد تثير دهشة هؤلاء الذين رأوا أنه مشاكس وغير متسامح باستمرار في جداله. ولكنه لم يتراجع: "إنني أعني بالإنسانوية قبل أي شيء آخر محاولة فك القيود التي يصطنعها العقل (كما عبر عن ذلك بليك)، حتى يمكن للمرء أن

---

[1] ادوارد سعيد، الاستشراق،ترجمة كمال ابو ديب.ط1.ص366

[2] عبد القادر بوعرفة،القضايا الكبرى في كتابات ادوارد سعيد، مجلة دراسات استشراقيه، العدد 29. 2022/01/08،موقع المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية: https://m.iicss.iq

[3] المرجع نفسه

يستخدم عقله بشكل تاريخي وعقلاني بغرض الفهم المتأمل والكشف الأصيل. والإنسانوية، أكثر من ذلك، يدعمها حس الجماعة مع المفسرين الآخرين والمجتمعات والفترات التاريخية الأخرى: وبشكل دقيق، ليس ثمة وجود للإنسانوي المنعزل"[1]. وربما كانت مأساة سعيد أنه كان عليه ممارسة حرفته كناقد أدبي عظيم في عصر لا صبر له على دقائق اللغة، ولا ذائقة جادة له لتفصيلات الأفكار المعقدة. فخلال حياة سعيد المهنية، كاد كل جانب لدراسته أن يصبح مختزلًا في الشعارات والإيماءات العنيفة.

وبالفعل، لاحظ سعيد بخيبة أمل، قبل وفاته في عام 2003 مباشرة، استمرار أثر الأيديولوجية "الإستشراقية" على الغرب، فهو يقول: "تمتلئ المكتبات في الولايات المتحدة بالكتابات الطويلة الرثة التي تحمل عناوين صارخة عن الإسلام والإرهاب، وتعرية الإسلام، والتهديد العربي، والهول الإسلامي، وكلها قد كتبها دعاة سياسيون يدّعون معرفة أنتجها الخبراء الذين يفترض أنهم قد اخترقوا قلب هذه الشعوب المشرقية الغريبة."...

إن واحدة من خطوات التقدم العظيمة، هي التحقق من أن الثقافات مهجنة وتعددية، وأن الثقافات والحضارات متصلة ببعضها ومعتمدة على بعضها البعض إلى حد تجاوز أي وصف مرسوم ببساطة لفرادة أي منها

وبينما تستمر الولايات المتحدة وقوى الغرب في محاولة التعامل مع أزمة الإسلام في سوريا والعراق ومصر وليبيا، وهي تسارع في مرضاة أمراء الجزيرة العربية المتخمين بثروات البترول، سيبقى كتاب "الاستشراق" النص الذي سيكون على مكتب العلاقات الخارجية ووزارة الخارجية الأمريكية العودة إليه لتجديد بحثهما عن فهم متبادل في الصراع بين الشرق والغرب.

---

[1]عبد القادر بوعرفة،القضايا الكبرى في كتابات ادوارد سعيد، مجلة دراسات استشراقيه، العدد 29. 2022/01/08،موقع المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية: https://m.iicss.iq

"لقد كان سعيد دائمًا عدوًا شرسًا للنظريات حول "صراع الحضارات". وقد جادل بأناقة ووضوح عظيمين، وجادل من أجل تحقيق تقدم فكري. وبينما اشتغل جدل كتاب "الاستشراق" حوله، كتب قائلًا: "إن واحدة من خطوات التقدم العظيمة هي التحقق من أن الثقافات مهجنة وتعددية، وأن الثقافات والحضارات متصلة ببعضها ومعتمدة على بعضها إلى حد تجاوز أي وصف مرسوم ببساطة لفرادة أي منها". وهو يمضي متسائلًا، كيف "يمكن للمرء التحدث عن (حضارة غربية) إلا كحكاية خيالية أيديولوجية أعطت الأمم الغربية هوياتها المختلطة الحالية؟ إن هذا صحيح بصفة خاصة فيما يتعلق بالولايات المتحدة، والتي يمكن اليوم وصفها فقط على أنها مخطوط مُحي وأعيدت كتابته لأجناس وثقافات مختلفة تتشارك تاريخًا إشكاليا للغزو، والتصفيات العرقية، وبالطبع للإنجازات الثقافية والسياسية الكبرى."

في كلمات يمكن أن تزودنا بتقدمة لهذه السلسلة، قال إتالوكالفينو مرة إن العمل الكلاسيكي هو كتاب "لم يُنه أبدًا ما أراد قوله". و"الاستشراق" هو أحد هذه الكتب[1]"

وركزنا في كتاب "الاستشراق" ، على تأثيرات ميشيل فوكو في منهجية إدوارد سعيد في تحليله للاستشراق بوصفه خطابا، أي أننا بحثنا في النسق المعرفي "الفوكوي" في كتاب الاستشراق؛ خاصة في تشكيل رؤية جديدة لدراسة ونقد الاستشراق، فبعد أن كانت الدراسات السابقة تاريخية ، فإنّها مع إدوارد سعيد دخلت مرحلة التحليل الخطابي، فكان أوّل من نظر إلى الاستشراق بوصفه (خطابا)، وهو تحوّل جوهري في دراسة الاستشراق . لقد اقترح سعيد إشكاليات وخيارات منهجية اعتمد عليها في كتابه (الاستشراق)، من بينها أنّ مقاربته تكمن في الكشف عن النسق السياسي والعقائدي المتخفي خلف الأنظمة المعرفية والخطابية في الاستشراق، وهو يمهّد بذلك لأطروحته الكبرى حول جدلية المعرفة

[1] **الناهي، هيثم غالب،مابين استشراق الاستشراق و ما بعد الاستشراق، مجلة المستقبل العربي.لبنان.2014/08/31 عدد الصفحات :15**

والسلطة، التي بينت إلى أي حدّ كان الاستشراق بنية عقائدية خدمت المشاريع الاستعمارية الغربية بصفة خاصة.

لقد وضحنا أهم مقولات ومفاهيم ميشيل فوكو، تلك التي اعتقدنا بأنّ إدوارد سعيد قد وظفها في تحليله للاستشراق، أو ألهمته برؤى تحليلية. وعلى الرغم من أنّ سعيد قد تعرّض للنقد، خصوصا في لجوئه إلى المقولات "الفوكوية"، بوصفها تنتمي نسقيا إلى فلسفة النسق التي تعلن موت الإنسان، في حين أنّ مشروع سعيد ينتمي إلى النزعة الإنسانية، فهو مدافع عن حق الشعوب التي عانت من ويلات الاستعمار، ومازال ترزح تحت مخالب الآلة الامبريالية.والاستعمار الحديث بجميع اشكاله.

"من جانب آخر، يرى دباشي أن سعيد يحيل «الاستشراق» بصورة خاطفة إلى كتاب روبرت ك ميرتون «علم اجتماع العلوم»، كما يقوم بإحالات موجزة إلى كل من فيبر ودوركايمومانهايم. لكن يتضح مع ذلك أن سعيد قد خص التراث الطويل والباهر لسوسيولوجيا المعرفة بانتباه طفيف فقط، معتمدا تراثا مختلفا تماما . فوكو على نحو خاص . كمصدر رئيسي لتصوراته النظرية (إذ لم يكن سعيد عالم اجتماع وإنما ناقدا أدبيا)، مع أن كل من ماكس شيلر وكارل مانهايم قد فاقا في مقترحاتهما الجسورة التي تربط بين ماهية وأنماط المعرفة وبين القوى الاجتماعية، ما قدمه إدوارد سعيد في استشراقه من حيث الجذرية بأشواط. فمثلا مقولة «المعرفة لكل البشر» هي المقولة التي أعلنها ماكس شيلر باعتبارها بديهيته الأولى في سوسيولوجيا المعرفة. وعندما نأتي إلى استشراق إدوارد سعيد من زاوية هذه النتائج الاستثنائية للأدبيات النقدية، لا نلمس في الحقيقة جديدا على نحو خاص أو حتى جذري في ما يتعلق بطرحه النظري حول وجـود رابط بنيوي بين الأسلوب الاستشراقي لإنتاج المعرفة والكـولونيالية، بل إنه بالأحرى طرح مسالم من الناحية النظرية، (أقل راديكالية بكثير في مضامينه من اقتراح مانهايم القائل بأن كل صيغ المعرفة والمعتقدات الممأسسة، محتواه ومضبوطة سياسيا .(

مع ذلك، يرى دباشي أن كتاب الاستشراق وسبره لطريقة عمل الكولونيالية والإمبراطورية، قد قدم تصورا ذا أهمية عالمية أبعد كثيرا من كل ما أنجزته سوسيولوجيا المعرفة على مستوى المحازبة السياسية، كما أننا من زاوية هذا التراث، يمكننا تفهم رؤية سعيد حيال مشروع غولدتزيهر، كون الأخير رغم مناوئته للكولونيالية، إلا أنه لم يتمكن في لغة البحث النقدي التي استخدمها، من الخروج عن نسق الخطاب الكولونيالي المشروط، فكانت تصوراته حول التاريخ الفكري للإسلام «محددة بمناطق مجهولة». مع ذلك يعتقد دباشي أنه إذا كان ثمة تحاملا مؤذيا من جانب المستشرقين اتجاه الشرق الذي قاموا باختراعه إبستمولوجيا، كما يجادل سعيد بشكل مقنع، فهو في الحقيقة كان الوسيلة في جعل فهمهم للشرق ممكنا، وتبدى على هذا النحو في أصل البناء البحثي الهائل والغني الذي أسسوه، وهو في هذا الموقف الجريء والجديد (أعني دباشي) يستند إلى رؤية هانز جورج غادامير الذي جادل في عمله «الحقيقة والمنهج» في أن الفهم قد أصبح ممكنا ليس على الضد من «التحيزات» بل بسببها. وبناء على قراءة لفكرة هايدغر عن «البنية المتقدمة للفهم» فقد أفرد غادامير في مبحثه السابق جزءا لـ«مشكلة التحيز»، وجد فيه أنه رغم التشويه الذي ألحقه التنوير بـ«التحيز»، فقد بقي هذا التحيز الشرط الفعلي للفهم. من هنا يخلص دباشي إلى أنه ينبغي ألا تقاس أهمية أبحاث غولدتزيهر وغيره من المستشرقين على مسطرة النظام المعرفي الآفل تاريخيا والمشوه نظريا والمسمى بالاستشراق، بل تجب قراءتهم اليوم كأصحاب رؤية فكرية وأحيانا إنسانية في غزارتها وغناها."[1]

[1] **محمد تريكو الربيعو، كيف نقرأ ادوارد سعيد اليوم من منظور سوسيولوجيا المعرفة، مجلة القدس العربي، 2016/06/17، https://www.alquds.co.uk/**

لقد كان الاستشراق بمنزلة نق د مضاد أو ما يمكن تسميته ب: "الخطاب المهاجر المضاد "لكل النزوعات الأصولية في فهم الثقافة والأدب والنقد، "فسعيد" اختار لهجومه موضوعا بين أكثر الموضوعات الشائكة في الفكر الغربي حول الشعوب الأخرى، وهو الدراسات الاستشراقية، لذلك يؤمن بأن البحث لا يمكن أن يكون نزيها أولا: كون العلاقة القائمة بين الثقافات هي علاقات غير متكافئة، وثانيا: اللغة والعادات المعرفة سواء تناولت اللغة لأنها دائما ما تستخدم لمصلحة الإدارة الاستعمارية ([1])والأديان، لهذه الشعوب فإن .قوة الغرب منحته فرصة اتخاذ الشرق وهنا تلتقي المعرفة بالقوة حسب "فوكو"؛ أي أن كموضوع لدراسات وأبحاثه المعرفية، لكن هذه المعرفة نفسها استغلت كغطاء إيديولوجي لممارسة الهيمنة والسلطة .فمشروع "سعيد" إذن هو اكتناه للمعرفة والسلطة والطغيان الذي يمارسه الإنشاء، ولعلاقة القوة التي يجسدها بالطريقة نفسها التي يمثل بها عمل "ميشيل فوكو" اكتناها لهذه الأسئلة بالإشارة إلى شرائح أو حيزات، معينة من المجتمع الغربي .وقد اتسم عمل "سعيد" بمصطلحات: "الحقيقة"، "والتمثيل"، "والقوة"، "وعلاقات القوة" "والمعرفة"، "والسيطرة"، "والتشكيل"، "والتكتيك"، "والإستراتيجية"، "والإنتاج"، "والتوثيق[2].

[1]مصطفى النشار: نظرية المعرفة عند أرسطو، دار المعارف للنشر، القاهرة، ط ، 3 1995م، ص28

[2]إدوارد سعيد: الاستشراق، ص150 ،151.

" وبالعودة الى الحديث عن الاستشراق فان إدوارد يناقشه في الصورة المتخيلة التي تم صنعها عن الشرق ، الأمر الذى مكن الثقافة الأوروبية من تدبير أمور الشرق بل ابتداعه في مجالات شتى مثل السوسولوجيا و السياسية و الأنثروبولوجيا ألخ .. ، سعي إدوارد في البحث عن الخلفيات التي تقف وراء هذه النصية الغربية الموجه نحو الشرق ، وكذلك القصدية التي توجها، و أيضا البعد المؤسساتي التي تقف ما وراء الخطابات الاستشرافية . مثل الجمعيات العلمية التي أنشئت ، الجمعية الآسيوية الفرنسية 1822 ، الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية 1823 ، و الجمعية الشرقية الأمريكية 1842 و غيرها ".[1]

يشير إدوارد أن الاستشراق سلك منهجين رئيسيين في تقديم الشرق إلى الغرب في مستهل القرن العشرين ، الأول يتوسل طريقة العلم الحديث ، أي يعتمد على جهاز النشر في المهن العلمية المختلفة ، في الجامعات و المعاهد و صناعة نشر الكتب والمطبوعات المبنية على النسق الاستشراقي ، الممتد من الرحالة و الباحثين و الشعراء الذين أسهم تراكم رؤاهم إلى حد تمثيل الشرق ، و كان كل من يريد أن يقول قولاً يتمتع بأي قدر من الأهمية عن الشرق يجد في الاستشراق مصدراً لطاقة تعبيرية يمكنه استخدامها ، و في النهج الثاني الذى قدم الاستشراق به الشرق الى الغرب من ثمار حالة التلاقي ، وحدوث الانتقال النصي باكتمال الاستشراق من خطاب علمي إلى مؤسسة إمبريالية . أي التطبيق العملي و هنا تأكيد على أن الاستشراق قد اضطلع بدور في ذلك الانتقال .

وبالحديث عن الانساق المضمرة التي تناولها كتاب الاستشراق نجد ان عمل الاستشراق اشتمل على رسم خارطة معينة عن الآخر العربي ، عبر التوسع ، المواجهة التاريخية ،

---

[1] **ماد قبريالقاتوج ،طروحات إدوارد سعيد وحميد دباشي في الاستشراق وما بعد الاستشراق: دراسة تحليلية مقارنة ،الحوار المتمدن-العدد: 5494 - 2017 / 4 / 17 - 12:49،المحور: قراءات في عالم الكتب و المطبوعات**

التعاطف والتصنيف هذه هي التيارات الفكرية في القرن الثامن عشر التي اعتمدت عليها مؤسسة الاستشراقية الحديثة ، والتي ساهمت ايضاً في تحرير الشرق و الإسلام من فلك الفحص الديني المسيحي ، أي أن الاستشراق الحديث يستمد عناصره من العلمانية في الثقافة الأوروبية ، وذلك باستخدامه العديدة من الأدوات ، مثل الروايات و الشعر و أخيراً عبر الصحافة والإعلام و السينما في الاستشراق الحديث ، التي تغمر التفكير الشعبي بصور نمطية ، عن العرب وبصفوهم قوم يركبون الجمال ، إرهابيون ، و سفك الدماء ، فالغرب هو المشاهد و القاضي و هيئة المحلفين في كل قضية تتعلق بأي جانب من جوانب السلوك الشرقي[1].

ويناقش إدوارد محورية العلاقة التي ربطت بين المعرفة و السلطة في الفترة الاستعمارية ، و يبين كيف أن المعرفة التي تشكّلت تعبر عن العلاقة القوية التي ربطت بين المستشرقين و السلطات الاستعمارية ، و يستشهد ببلفور الذي ذكر في مجلس العموم البريطاني عام 1910 قائلاً إننا نعرف حضارة مصر خيراً مما نعرف حضارة أي بلد آخر ، و نعرف تاريخها السحيق بل نحيط بها إحاطة أوثق و أشمل ، و كانت بريطانيا في ذلك الوقت تستعمر مصر [2] ، و هو الأمر الذي اراد إدوارد التنبيه له ، أي بين شكلية العلاقة بين المعرفة و السلطة ، و يضيف أن الممارسة الاستشراقية تقدم دليلاً على السيطرة الأوروبية الأمريكية على الشرق بجانب الروابط الوثيقة بينه و بين المؤسسات السياسية و الاقتصادية التي تمنحه القوة وقدرته على الاستمرار ، و يشير إدوارد إلى هذه الثنائية ضمن سياق الاستشراق و ما تمثله من علاقة ، فبلفور يقصد بنحن أي الإنجليز .

---

[11]ماد قبريالقاتوج ،طروحات إدوارد سعيد وحميد دباشي في الاستشراق وما بعد الاستشراق: دراسة تحليلية مقارنة ،الحوار المتمدن-العدد: 5494 - 2017 / 4 / 17 - 12:49،المحور: قراءات في عالم الكتب و المطبوعات

[2]إدوارد سعيد، الإستشراق (المفاهيم الغربية للشرق) تر: محمد عناني، دار بنحوين العالمية، ط 1، القاهرة، 2006م.

إضافة إلى نموذج بلفور يورد إدوارد نموذج بابليون عندما قام بغزو مصر و تجنيده العشرات من المستشرقين في مختلف المجالات ويشير إلى أمر مهم وهو استفادة نابليون من كتاب رحلة في مصر و في سوريا 1788 للكونت دي فولنو ولكتاب آخر أيضاً لفولنى تأملات في الحرب الجارية مع الأتراك 1788 ما يشير إلى الترابط العضوي بين المعرفة و الاستعمار ونابليون نفسه عند عودته إلى فرنسا أمر نائبه كليبربإن يدير مصر من خلال المستشرقين و علماء الدين الإسلاميين . والأمثلة كثيرة التي يوردها سعيد، مثل كتاب تاريخ كيمبريدج للإسلام، فضلاً عن كتابات مثل هيرجروينى، ماكدونالد وغيرهم من المستشرقين الإسلاميين. إذا جاز التعبير.

ويشير إدوارد إلى استخدامات اللغة في الخطاب الاستشراقي ، و تظهر في النصوص الاستشراقية المنتجة ، و أي نص ليس بريئا إنما يعبر عن إيديولوجيا محددة من القيم ، ومن ثم في هذا الصدد يقول إدوارد أن الاستشراق أسلوب للخطاب أي للتفكير و الكلام ، تدعمه مؤسسات و مفردات و بحوث علمية ، و هي تمتثل في محورية لغة مرتبطة بالاستعمار و النص الروائي ، مثل كتابات إدوارد لين ، جوستاف فلوبير ، جوبينو و إرنست رينان . و سعيد يقدم نقده عبر فحص البنيات اللغوية الاستشراقية من خلال الكتابات المنتجة عن وصف الشرق أو التي تأكد التفوق الغربي . سواء كانت حكايات . أو روايات ألخ . ويبين كيف شارك فقه اللغة و كتابة الروايات و الشعر الغنائي و التاريخ الخ .. في خدمة رؤية الاستشراق[1].

[1] **ماد قبريالقاتوج ،طروحات إدوارد سعيد وحميد دباشي في الاستشراق وما بعد الاستشراق: دراسة تحليلية مقارنة ،الحوار المتمدن-العدد: 5494 - 2017 / 4 / 17 - 12:49،المحور: قراءات في عالم الكتب و المطبوعات**

كانت الغاية من كتاب الاستشراق تسليط الضوء على العقيدة الفاسدة والاضطهاد الامبريالي اللذين يسمان المعارف الأوروبية برمتها،فقد أحدث الكتاب ضجة في عالم الفكر ولا سيما الاستشراقي منه، فلا تكاد توجد دراسة أو مؤلفاً أو بحثاً في موضوعه إلا وتناول الكتاب بحثاً أو اقتباساً أو إشارة كما أثار الجدل في كثير من الأوساط الجامعية لما له من قيمة جعلته منعطفاً كبيراً في عالم الاستشراق، وخاصة على المنابر الثقافية، وأراد سعيد توصيل مجموعة نقاط مهمة إلى الدارسين والمهتمين بهذا الجانب المعرفي في العالم، وقد لاقى الكتاب أنصاراً كما لاقى معارضين، "وربما كان من أشد من كتب عنه " جلال صادق العظم " الذي نشر في الرد عليه كتاباً ضخماً سماه (الاستشراق والاستشراق معكوساً) فند فيه أطروحات سعيد مشبهاً نفسه بماركس حين أدعى إنه سيصحح فكر الاستشراق عند سعيد كما صحح ماركس فكر الديالكتيك الذي ورثه عن سلفه "هيجل"، واعتبر جلال العظم أن كتاب الاستشراق هو " فشة خلق" هلل لها المثقفون العرب"[1]، غير أن أهمية كتاب الاستشراق تأتي من إيراد سعيد لكم كبير من الأمثلة والشواهد التاريخية، والثقافية المهمة وبيان وجهة النظر من خلالها، ولهذا كانت قيمة الكتاب رفيعة ومهمة، كونه قدم للمكتبة العالمية عملاً فريداً من نوعه، وكان أول كتاب بمضمونه، حيث أصبح مرجعاً ومصدراً رئيسياً لكل باحث في موضوع الاستشراق، لا يكاد يستغني عنه أي دارس، خاصة في مجال فضح الأوراق الغربية، وكشف أهدافها الحقيقية، وما تريده تلك المؤسسات والجهات التي كانت تغذي عمليات الاستشراق بالأموال والجاه.. صدر الكتاب عام 1978م بالإنكليزية، وطبع بالعربية عام 1981م من ترجمة الدكتور " كمال أبو أديب" وهذه الترجمة تعتبر ترجمة حرفية خالية من أي جمال بلاغي، يتكون الكتاب من ثلاثة فصول، مجال الاستشراق، البنى الاستشراقية وإعادة خلق البنى، وهناك ترجمة " محمد عناني" وهذه الترجمة فيها زيادة عن الترجمة السورية، والزيادة هي عبارة عن فصل كتبه سعيد يجلي فيه بعض الأمور المتعلقة بالطبعة الأولى لكتابه، "ويقول سعيد في هذا الملحق: إن هناك تفسيرات خاطئة للكتاب رأت أنه يدافع عن الإسلام والعرب، ويعادي الغرب بصورة مستترة، في حين كان الكتاب يهدف إلى تخطي الهوة بين الشرق والغرب من خلال إثارة قضية التعددية الثقافية في كتاب يحفل بظلال

[1] غالب المير غالب ،ألقيت في جمعية العاديات ،عام 2014

المعاني، ومن يراه مجرد رد على الغرب يسيء إليه"[1]، الكتاب بطبعته المصرية 560 صفحة من القطع الكبير، يرسم سعيد في بداية كتابه صورة معبرة عن ذلك السلوك الاستعماري الذي يلبس أقنعة براقة كإنقاذ، الشعوب ومساعدتها وجلب الديمقراطية لها، عنوان الفصل الأول " التعرف على الشرق" يستعرض سعيد بعض المقالات والأقوال، وهنا يأتي بمثل (خطاب بلفور عام 1910م) الذي يدافع فيه عن احتلال بلاده لمصر، مقدراً إن ذلك الاحتلال فيه خير كثير لمصر ولبلاده، مقدراً حيث إن إصدارات بريطانيا إلى مصر تعادل إصداراتها لإفريقيا بكاملها، ثم يتحدث عن اللورد كرومر، ويورد قوله: الغربي ذو قيمة عالية من العقل والحكمة، أما الشرق فيفتقد بشكل بارز إلى التناظر ومحاكمته العقلية مهلهلة إلى أقصى درجة، والشرقيون عريقون في الكذب وهم كسالى وسيئو الظن.

"قال سعيد: الكيانات الجغرافية في الشرق والغرب لها أيضاً كيانات تاريخية من صنع الإنسان، والشرق مثل الغرب تماما فهو فكرة ذات تاريخ وتراث من الفكر والمفردات والصور التي أعطته حضوراً وحقيقة، لكن الشرق كان قابلاً لأن يشرقن ويخضع لمن يطمع في"[2]ه، ثم بدأ سعيد يستعرض الأسباب الكامنة وراء نظرة الغرب للشرق فقال: إن المكون الرئيسي للثقافة الأوروبية هو بالضبط ما جعل تلك الثقافة متسلطة داخل أوروبا وخارجها على حد سواء، وقال سعيد أيضاً: "أنه درس الاستشراق بوصفه تبادلاً حيوياً بين مؤلفين أفراد وبين المؤسسات السياسية الواسعة التي شكلتها الإمبراطوريات العظيمة الثلاث وهي التي أنتجت الكتابة الاستشراقية (بريطانيا وفرنسا وأمريكا) ضمن حدودها الفكرية والتخيلية"[3]، ويضيف قائلاً:" أن ما يعنيني هنا كباحث ليس الحقيقة السياسية الإجمالية بل التفاصيل، بالضبط كما يعنينا في صناعة الكتاب ثلاثة أشياء جعلت أبسط التصورات للعرب والإسلام قضية مسيسة إلى درجة عالية:

---

[1]إدوارد سعيد، الإستشراق (المفاهيم الغربية للشرق) تر: محمد عناني، دار بنحوين العالمية، ط 1، القاهرة، 2006م

[2]المرجع نفسه

[3]المرجع نفسه

-تاريخ التحيز الشعبي ضد العرب وضد الإسلام في الغرب الذي ينعكس مباشرة على تاريخ الاستشراق.

-الصراع بين العرب والصهاينة وتأثير هذا الصراع على اليهود الأمريكيين بالإضافة إلى تأثيره على الثقافة التحررية والسكان عامة.

-الغياب شبه الكلي لموقع ثقافي يجعل من الممكن إما توحد الهوية مع العرب والإسلام أو مناقشتها ودراستها بشكل عقلاني خال من العواطف الذاتية"[1]..

قال سعيد: "لا بد للقوة من معرفة وهي بدونها لا تفعل شيئاً،ولهذا قام الغرب باستقدام خبرات وعقول كانت منبوذة في بلادها، إذاً إنه العلم قبل كل شيء، فالحضارة مهما عظمت وطال مكوثها فأنها تحمل بزور فنائها، والمطلوب هو إطالة عمرها بالعلم لا غير، إذ لا بد من الموت في النهاية كالرجل العجوز حسب تشبيه ابن خلدون، وهذا العلم قد يصيبه الخلل أيضاً، ومن أشد أمراضه الغرور، وهذا يفسر سبب أخطائهم الحربية في احتلال الدول الذي يعود إلى التقارير الخاطئة لخبراء السياسة، والقوة الثقافية اليوم من الصعوبة مناقشتها، فقد كانت الآراء خلال القرنين التاسع عشر والعشرين تقول: أن الشرق وكل ما فيه بحاجة إلى دراسة تصحيحية من قبل الغرب، وفي هذا الجانب فأن الاستشراق يعني معرفة بالشرق تضع الشرقي في قاعة التدريس ، لقد أصبح الشرق وبخاصة الأدنى معروفاً في الغرب بوصفه نقيض الغرب المتمم له، كان هناك الكتاب المقدس، وبزوغ المسيحية وانتشارها، وكان ثمة رحالة (ماركو بولو) وحجاج مقاتلون كالصليبيين،"[2] ويتابع سعيد مؤكداّ أن عداوة الغرب للإسلام لا تنبع من كراهية فقط، بل من خوف قديم مرده للإسلام العسكري منذ البدء، ثم السيطرة الثقافية والدينية، ونموه تنامياً هائلاً حيث توسع الإسلام بشكل كبير، وبمجيء القرن الثالث عشر والرابع عشر كان حكم الإسلام قد توغل شرقاً حتى الصين، وفي مواجهة هذا الاجتياح الكبير شعرت أوروبا بالخوف الشديد والرهبة وخاصة وأن عالم المسلمين كان مجهولاً بالنسبة للغرب، وبرز الخوف بشكل واضح في القرن السابع عشر من الخطر العثماني، ونتيجة ذلك الخوف تسرب الجهل

---

[1] **إدوارد سعيد، الإستشراق (المفاهيم الغربية للشرق) تر: محمد عناني، دار بنحوين العالمية، ط 1، القاهرة، 2006م**

[2] **المرجع نفسه**

والتشويه في أعلى صوره العقلية الغربية، والإسلام (حسب سعيد) كان بالنسبة لأوروبا هزة عنيفة مأساوية دائمة، وقد تمثل الإسلام بالنبي " محمد" صلعم عندهم حيث نعت الغرب العرب بالمحمدين وهذه التسمية مردها مهني، أما الإسلام فأنه يسقط ويدرج تحت مدخل آخر، ويعود سعيد ويؤكد أن الشرق العربي والإسلامي بشكل عام كانا الوحيدين الذين واجها أوروبا بتحد لم تجد له حلاً على الأصعدة السياسية والفكرية ولزمن قصير الاقتصادية أيضاً، وهكذا رأى سعيد أن الاستشراق يحمل في داخله موقف إشكالي إزاء الإسلام..

البنى الاستشراقية

في الفصل الثاني للكتاب يتكلم سعيد عن البنى الاستشراقية وإعادة خلق البنى، وعن الحدود التي أعيد صياغتها، والقضايا التي أعيد تحديدها، ويستشهد بعدد من المفكرين الغربيين متمثلاً ببعض أقوالهم التي أختارها من ضمن مؤلفاتهم، فيذكر " غوستاف فلوبير" وروايته الملهاتية الموسوعية التي يستنبط منها سعيد الصورة الفوقية المزرية للغرب تجاه الشرق، حين يصور الكاتب بطلين للرواية يتقاعدان فيعملان في إقطاعية ريفية، وبعد عمل وسفر وإنجازات عديدة، يفكران في المستقبل ويراه أحدهما عبر زجاج قاتم والآخر يراه براقاً حيث يقول": لسوف تستعيد أوروبا نضارتها على أيدي أسيا، والقانون التاريخي ينص على أن الحضارة تنتقل من الشرق إلى الغرب. كان ثمة طريقان للاستشراق سلم بهما الشرق للغرب في أوائل هذا القرن، كانت الأولى عن طريق مقدرات النشر التي يمتلكها التعليم الحديث وجهازه الانتشاري في المهن المتخصصة والجامعات والجمعيات المحترفة والمنظمات الجغرافية والاستكشافية وصناعة النشر"[1]، وقد بنت كل هذه الوسائل ما سماه سعيد بالاستشراق الكامل، واستعرض في هذا الجزء أطماع الدول الاستعمارية بالشرق العربي وخاصة دول البحر الأبيض المتوسط، وقدم أدلته العلمية على ذلك من خلال أقوال ومصنفات المستشرقين، وأورد قول الكونت دي كريستو عام 1913م / سوريا هي شرق فرنسا الخاص ومحط المصالح الفرنسية السياسية والأخلاقية والاقتصادية، وهي مصالح ينبغي الدفاع عنها في هذا العصر من قبل الامبريالية المتلاشية، وفي هذا القسم

[1] **إدوارد سعيد، الإستشراق (المفاهيم الغربية للشرق) تر: محمد عناني، دار بنحوين العالمية، ط 1، القاهرة، 2006م**

المهم من الكتاب سلط الضوء على الوسطاء الامبرياليين وصانعي السيارات بدلاً من الباحثين فقد كان ذلك بهدف تعميق إبراز النقلة الرئيسية في الاستشراق والمعرفة بالشرق والتفاعل معه من موقف جامعي إلى موقف أدائي، "ويعود سعيد للحديث عن صورة العربي في أمريكا خاصة بعد حرب 1973م وحظر النفط، صورة العربي عبارة عن شيخ يقف أمام محطة بنزين، والعرب مقرونة صورهم بالجمل وبئر النفط وارتفاع سعر البنزين،مما جعل الناس العاديين يقولون: لماذا يمتلك بشر كهؤلاء العرب حق إبقاء العالم المتطور الحر الديمقراطي الأخلاقي مهدداً؟!! وثمة عنصر آخر مهد الطريق لبنى الاستشراق الحديث وهو النزوع إلى تصنيف الطبيعة والإنسان في أنماط العناصر الأربعة وهي : التوسع، المجابهة التاريخية، التعاطف، التصنيف، وخلال ذلك فإن المستشرق الحديث يرى نفسه بطلاً ينقذ الشرق من أعماق الغموض والانغلاق، ويتحدث طويلاً عن سلفستردوساي وأرنست رينان اللذان منحا الاستشراق أسسا علمية وعقلانية فقد أنشأ شكلاً خاصاً من الإضاءة للشرق وأسسا تكوينهم الخاص لشخصية المستشرق باعتباره المرجعية المركزية للشرق وما يحتويه ذلك الشرق من تكوينات لم تكتشف إلا بجهد وتعب المستشرق. كما أن القوى العظمى درست بالتفصيل الدقيق جميع الأقليات، وخططوا لها وتم التآمر عليها من قبل هذه القوى العظمى، وجاء بمثل حوادث 1860م والحرب الأهلية بين الموارنة والدروز في لبنان، حيث ساندت فرنسا الموارنة، وساندت بريطانيا الدروز"[1].

وفي الختام يركز إدوارد سعيد على فكرة أن الاستشراق هو مؤسسة مشتركة للتعامل مع الشرق، وبموجب ذلك تقرر احتلال الغرب للشرق، وفرض السيادة عليه، لذلك يستنتج أن الشرق " بسبب الاستشراق" عانى الكثير من تأثير شبكة المصالح الواسعة التي أثرت في مجريات الشرق وإحداثه، وأن الثقافة الغربية اكتسبت المزيد من القوة والهوية بوضع نفسها موضع التضاد مع الشرق باعتباره ذاتاً بديلاً.

[1] **إدوارد سعيد، الإستشراق (المفاهيم الغربية للشرق) تر: محمد عناني، دار بنحوين العالمية، ط 1، القاهرة، 2006م**

ومما لا شك فيه أن كتاب الاستشراق تبوأ مكانة رفيعة في عالم البحث العلمي وفي مراكز الدراسات الاستراتيجية، لكن هناك بعض الملاحظات التي لا تقلل من قيمة الكتاب المعرفية، ولكن للإيضاح والأنصاف نذكر:

-"وجه سعيد كتابه إلى فرنسا وبريطانيا ومن ثم أمريكا، دون التعمق في الاستشراق الروسي والألماني وغيرهم ممن لم يكن لديهم دوافع استعمارية واضحة.

-إن عدد المستشرقين الذين بحثوا في العالم العربي يتجاوز المئات إن لم يكن الآلاف، ومعظمهم كان دافعهم للاستشراق غير استعماري.

-هناك الكثير من المستشرقين حتى من الدول الاستعمارية، أنصفوا العرب والإسلام، وبينوا فضلهم على الحضارة الغربية المعاصرة."[1]

لا يمكننا أن نسلم بأن المستشرقين كلهم بهذه البشاعة التي صورها سعيد، ومن الطبيعي أن لا يلام الدكتور إدوارد سعيد على رأيه إذا أخذنا بعين الاعتبار خلفيته القومية وأصوله العربية الفلسطينية، ومدى تعلقه بهذه الأصول، وتفاعله العقلي والفكري مع قضايا شعبه وتأثير كل ذلك على حكمه القاسي على الاستشراق، غير أن مسيرة الإشراق في الوطن العربي عانت الكثير من المشاق والمصاعب، وقد واجه العديد من المستشرقين أخطاراً كبيرة، وقد كان المستشرقون أصحاب جلد على العمل يضرب به المثل، وربما قضى بعضهم عمره في تحقيق مخطوط، أو تصنيف كتاب أو موسوعة، دون كلل ولا ملل، ومن الأمثلة على ذلك فايل الذي قضى ست عشرة سنة في تصنيف كتابه " تاريخ الخلفاء"، وأخر هو "ريد كورناي" قد قضى أيضاً عشر سنوات في تحقيق وترجمة كتاب المسعودي" مروج الذهب"، ومن الضروري لفت النظر للثقافة الواسعة التي كان يتمتع بها أغلب المستشرقين، والذين سخروا تلك الثقافة في الوصول إلى غاياتهم وأهدافهم العلمية، وقد ساعدهم على عملهم في دراسة وتحقيق مخطوطات التراث العربي الإسلامي، تمكنهم من اللغات الكلدانية والأشورية، والآرامية، والسريانية، والعبرية والعربية والحبشية والأرمنية والفارسية والتركية، ولا يعني هذا أن كل مستشرق كان متمكنا من جميع هذه اللغات، ولكن أغلبهم كان يملك نواصي أكثر من أربع لغات يستخدمها في أبحاثه ، ومنهم من صنف في قواعد اللغة العربية وفقهها ومعاجمها ولهجاتها وتاريخها، ومنهم من قارن بين

[1] **غالب المير غالب ،ألقيت في جمعية العاديات ،عام 2014**

عدة حضارات وبين لغاتها، ومنهم من حلل الكتابات الهيروغليفية، والمسمارية والفينيقية والنبطية، وكل هذه الأعمال أدت بالمحصلة إلى اكتشافات غيرت وجه التاريخ.

وأخيراً سنستعرض بعض الأمثلة عن عدد من المستشرقين الذين أنصفوا بدراساتهم الحقيقة، وعملوا بضمائر حية نقية:

-يقول ديورانت: إن تطبيق الطرائق التجريبية العلمية في علم الكيمياء، التي اكتشفها العرب، هي من أهم أدوات العقل الحديث وأعظم مفاخرة.

-روند لاندو يقول: والظاهرة المذهلة حقاً في إسهام العرب الرياضي هي الصلة الوثيقة ما بين مكتشفاتهم في هذا العلم وبين مبادئ الدين وأوامره، إن تطوير الرياضيات من مرحلتها الإغريقية البدائية إلى مرحلتها العربية العالمية لتقدم لنا مثلاً على الطرائق الدينية التي تتكيف مع البحث العلمي الدقيق، والفرق بين الرياضيات العربية، والإغريقية ليس فرقاً علمياً فحسب ولكنه يدل أيضاً على تغاير عميق في طرق الاستشراف الروحي والأيديولوجي.

-قال هونكه: لم يأخذ العرب العلوم التي ورثوها عن طريق الاقتباس، كما أهم أيضاً لم يأخذوا الآلات العلمية ومواد العلم القريب دون مناقشة أو تحقيق، فمنذ البدء أدهشوا العالم بالحرية الموضوعية، والشجاعة العلمية التي ميزت عملهم وخاصة في النقد والبحث والتفنيد. وقال أيضاً: إن علم الجبر لا يزال حتى اليوم يحتفظ بطابع عربي ويعتبر العرب المؤسسين الحقيقيين لعلم المثلثات، والحقيقة التي لا رية فيها هو أن العلماء العرب قبل غيرهم من العلماء بمئات السنين.

-المستشرق سيديو: نستطيع أن ندعي بأننا كلما أمعنا وتعمقنا في دراسة المخطوطات العربية القديمة زادت لدينا الشواهد الدالة على التقدم الذي احرزته العلوم الرياضية عند العرب، والتأثير الذي بثه العرب في الغرب عبر عن نفسه، وبدت مظاهره في جميع فروع الحضارة الحديثة، والعرب كانوا أساتذة في جميع فروع المعرفة.

-دون هنبولد: يجب أن يعتبر العرب هم المؤسسون الحقيقيون للعلوم الطبيعية.

-لوبون: إن أهم تقدم للعرب في عالم الطب هو ما كان في الجراحة ووصف الأمراض، وأنواع الأدوية والصيدلة، وعلم الجراحة يدين للعرب بكثير من مبتكراته الإسلامية، وظلت كتبهم مرجعاً للدراسة في كليات الطب إلى وقت قريب جداً.

–بريفو: العلم آجل خدمة أسدتها الحضارة العربية إلى العالم الحديث، وكان العلم الأوروبي مديناً بوجوده للعرب."

وهكذا نرى إن الأحكام الشاملة التي أطلقها الدكتور سعيد بحق الاستشراق والمستشرقين، قد يكون فيها بعض الإجحاف بحق من قال كلمة حق ، لا يبغي من وراءها غاية غير خدمة العلم والمعرفة..

[1]

[1] **غالب المير غالب ،ألقيت في جمعية العاديات ،عام 2014**

خاتمة

خاتمة:

حاولنا في هذا العمل المتواضع جدا ان نخرج قطرة من بحر، لان التعامل مع ادوارد سعيد وخاصة كتاب الاستشراق يحتاج الى نقاد متمرسين والى جهد جهيد؛ والى وقت كاف ، حتى يتمكن المرئ من تحقيق المراد وبلوغ المرام.

لقد كان ادوارد سعيد في "الاستشراق" أديباً ملتزماً بأداء رسالةٍ اجتماعيةٍ أكثر منه ناقداً في موضوعٍ أدبيٍّ صرفٍ يقتضي تغليب العلم على ما عداه. وأغلب الظن أن النجاح الذي أحرزه كتاب الاستشراق مرده إلى هذا المنهج الصارم الذي اتبعه المؤلف باحترافية عالية حينما لم يعمد إلى تصنيف موضوع الاستشراق إلى أنواعٍ أو أشكالٍ مختلفةٍ على غرار ما اتبعه السابقون من المشتغلين بهذا الحقل المعرفي، بل اكتفى الكاتب بتقديمه جملةً واحدةً، والحكم عليه حكماً مطلقاً. ولولا تلك الأسباب لما خرج النصّ من رفّ الكتاب محدود التداول إلى فضاء الخطاب المفتوح.

الاستشراق، إذًا، ليس خيالًا أوروبّيًّا هوائيًّا عن الشّرق، إنّما هو جسمٌ من النّظريّات المُخترَعة والمُطبَّقة، تضمّنت، ولعدّة أجيال، استثمارًا مادّيًّا ضخمًا جديرًا بالاعتبار، جعلها استمراره نظامًا معرفيًّا عن الشّرق، ومصفاةً مقبولةً لتسريب الشّرق إلى الوعي الغربيّ. مرّة أخرى نؤكّد، أنّ معرفة عرق الموضوع (أي الشّرقيّين)، يجعل إدارتهم سهلة ومربحة؛ المعرفة تمنح القوّة، المزيد من القوّة يتطلّب المزيد من المعرفة، وهكذا دواليك في جدليّةٍ مربحةٍ متزايدةٍ من المعلومات والسّيطرة. تلك الجدليّة تولّد غضبًا يستوقف التّفكير، يسجننا في تصنيفاتٍ ونقاشٍ مخاصمٍ، هدفه هويّة جماعيّة مُحارِبة بدلًا من التّفهّم والتّبادل الفكريّ.

بعد تحليل الإنتاج الأدبيّ نكتشف، أنّ الشّرق الحقيقيّ غالِبًا ما حَثَّ رؤية الكاتب؛ ونادرًا ما وَجَّهَها. نتيجةً لذلك، كان هناك وما زال شرقًا لغويًّا، شرقًا فرويديًّا، شرقًا سبانغليريًّا،

شرقًا داروينيًّا، شرقًا عرقيًّا... وإلى ما هنالك من دون أن نَجِد شرقًا صافيًا أو من غير قيدٍ أو شرطٍ؛ كذلك لم نَجِد أبدًا شكلًا غير مادّيٍّ من الاستشراق.

أمّا في عصرنا هذا، نشهد وجهًا من أوجه العالم الإلكترونيّ الما بعد الحداثيّ، يُعزِّز الأفكار المُقولَبة الّتي يُنظَر من خلالها إلى الشّرق. فبوساطة التّلفاز والأفلام وكلّ موارد وسائل الإعلام، فُرِضَت المعلومات داخل قوالب موحّدة القياس، بدلًا من الانفتاح على الآخر وتعزيز مبادئ الإنسانيّة والمُساواة، وتخطّي العُرقيّة والمَذهبيّة وكلّ ما يفرّق البشر. نذهب أبعد من ذلك لنشبّه الاستشراق بالعولمة، فكما كان يُستخدَم ذريعةً للسّيطرة والاستعمار الحسّيّ العسكريّ، تَستعمِل الدّول المُهيمنة الآن (هي نفسها أوروبّا وأميركا)، العولمة غطاءً صافي النّيّة، لاكتشاف نقاط ضعف العالم الثّالث (الشّرق) فتَعمَل على مُضاعفتها وإلهاء النّاس بها، بُغْية الاحتلال غير المُباشر لتلك البلدان، احتلالًا ثقافيًّا، اجتماعيًّا، اقتصاديًّا، وسياسيًّا.

إلى متى يبقى الغشاء على عقولنا؟ إلى متى نَنْساق كالخراف إلى المَسلَخ؟ فالظّاهر أنّ التّاريخ لا يعيد نفسه، بل هو مُستنقعٌ جامدٌ مُسَمَّرٌ على خشبة الخضوع.

قائمة المصادر والمراجع

1 -أ. د. لطيف نجاح شهيد القصاب،"الاستشراق في فكر إدوارد سعيد قراءة في منهج الخطاب" اسم المجلة : دراسات استشراقية،العدد: 17، السنة الخامسة، شتاء 2019م / 1440هـ

2 -إبن منظور، معجم لسان العرب، مج 10، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ص 352.

3 -أحلام بكري، تعريف الثقافة لغة واصطلاحا، تد عفراء بكري، مجلة سطور، 26 أفريل 2021م.

4 -أحمد الإسكندراني وآخرون، المفصل في تاريخ الأدب العرب، ج2، ص 408.

5 -أحمد بن راشد بن سعيّد، 35 عاما على الاستشراق، مدونة الجزيرة.
https://www.aljazeera.net/opinions/2013/9/14/35

6 -أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للإستشراق، ط 2، بير منجهام 1411، ص 07.

7 -إدوارد سعيد، الإستشراق (المفاهيم الغربية للشرق) تر: محمد عناني، دار بنحوين العالمية، ط1،

8 -ادوارد سعيد، الاستشراق ،ترجمة كمال ابو ديب.ط1.ص366

9 -بد القادر بوعرفة. القضايا الكبرى في كتابات ادوارد سعيد. مجلة دراسات استشراقيه. العدد 29. 2022/01/08.موقع المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية:
https://m.iicss.iq

10 - خالد احليلي طالب باحث في الحضارات الشرقية، مدونة الجزيرة، الاستشراق بين ادوارد سعيد ونقاده،2019/08/05
https://www.aljazeera.net/opinions

11 - ريتشارد إلياس وآخرون، نظرية الثقافة، تر: علي السيد الصاوي، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني الثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1978م، ص 8.

12 - الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، ج 2، منصورات محمد علي بيقون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 24.

13 - سعاد طيباوي، إدوارد سعيد والخطاب الاستشراقي، الحوار المتمدن، العدد 4705، https :www.ahewor.org:2015/1/31

14 - صورية مكاملية، طالبة دكتوراه، إدوارد سعيد وتفكيك الخطاب الكولونيالي، قراءة في كتابي الاستشراق والثقافة والأمبريالية، جامعة العربي التبسي، تبسة، ص 36

15 - عبد الرحمان عبد الله، النقد الثقافي في الخطاب العربي "العراق أنموذجًا"، دزارة، العراق، ط، بغداد، 2012، ص 54.

16 - عبد العزيز حمودة، المرايا الحدبة من البنية إلى التشكيكية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة الكويت، 1997م، ص184.

17 - عبد القادر الطرنيشي ،مدونة الجزيرة 6/3/2018 ، "الاستشراق في ضوء ما كتبه إدوارد سعيد"

18 - عبد اللطيف عبارة، صفحات مشرقة، من نكرة، مالك بن نبي، دار الشهاب للطباعة، باتنة، ط1، 1984م، ص 64.

19 - عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية ،المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء، ط3، 2005م، ص 87- 88.

20 - فارق ثابن، النسق الشعري وبنايته، منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف المنهجي، مركز الكتاب الاسلامي عمان، ط1.
القاهرة، 2006م

21 - لوج أربري، المستشرقون البريطانيون، تعريب محمد الدسوقي النويهي، لندن، ويليام كوليز، 1946م، ص 8.

22 - ماد قبريال قاتوج ، طروحات إدوارد سعيد وحميد دباشي في الاستشراق وما بعد الاستشراق: دراسة تحليلية مقارنة ، الحوار المتمدن-العدد: 5494 - 2017 / 4 / 17 - 12:49،المحور: قراءات في عالم الكتب و المطبوعات
https://www.ahewar.org/

23 - مازن بن صالح، الإستشراق، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود

24 - محمد تريكو الربيعو، كيف نقرأ ادوارد سعيد اليوم من منظور سوسيولوجيا المعرفة، مجلة القدس العربي، 2016/06/17،
https://www.alquds.co.uk/

25 - مراد وهيبة، المعجم الفلسفي، دار قباء للطباعة والتشر، ط 5، القاهرة، 2005م، ص 645.

26 - مصطفى النشار: نظرية المعرفة عند أرسطو، دار المعارف للنشر، القاهرة، ط 3 ، 1995م، ص28

27 - معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م، ص 919.

28 - معجم الوسيط، ج 1، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية،ط 4، 2004، ابن منظور، لسان العرب

29 - موقع "كاونتر بنش"، 4 أغسطس/آب 2003

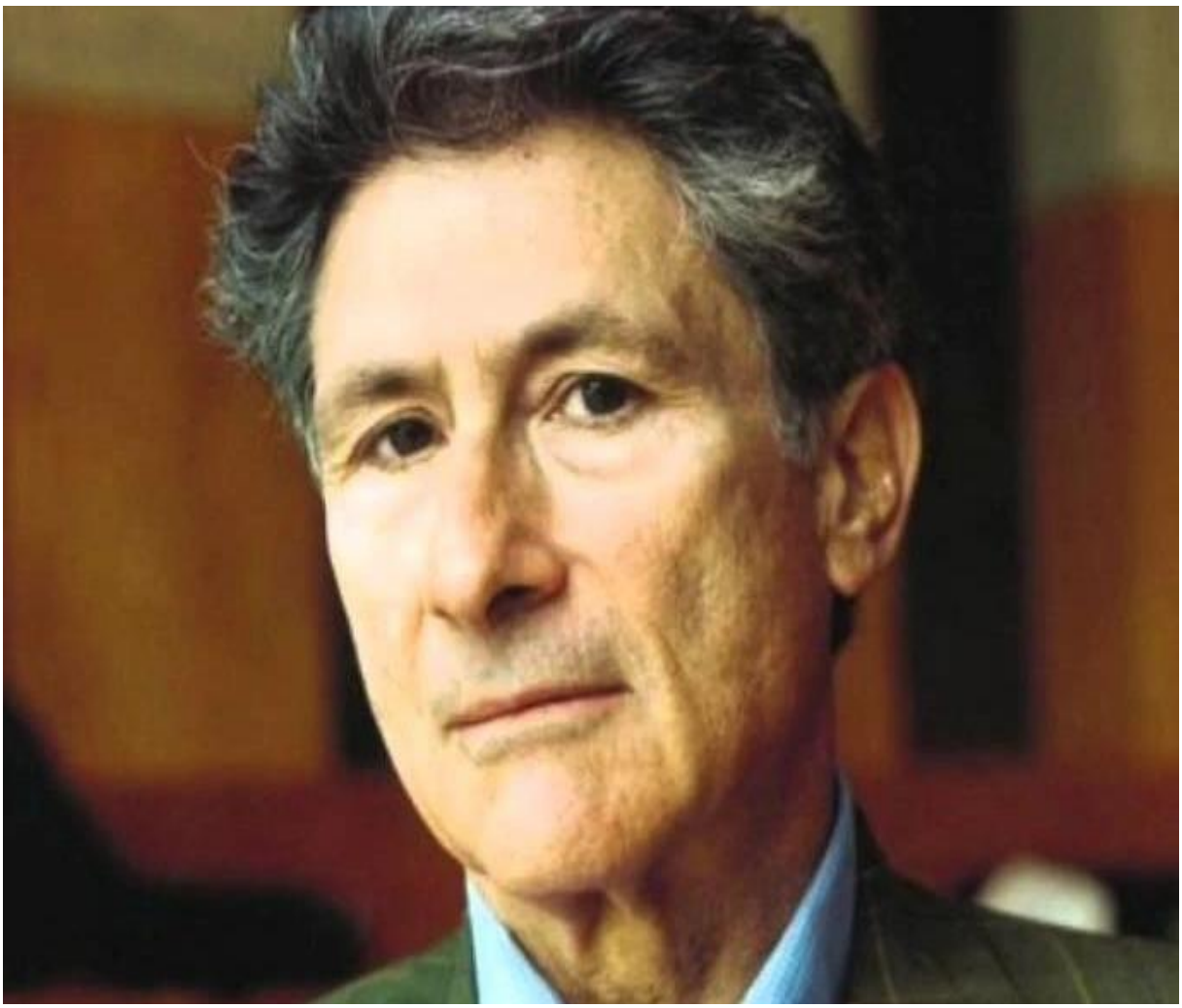
30 - الناهي، هيثم غالب،مابين استشراق الاستشراق و مابعد الاستشراق، مجلة المستقبل العربي.لبنان.2014/08/31 عدد الصفحات :15

31 - نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب والنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2006م، ص 39.

32 - يحى مراد، من قضايا الإستشراق بحوث ودراسات، ص 31

ملاحق

ادوارد سعيد



كتاب الاستشراق



فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
الإهداء	
الإهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول **المفاهيم الأساسية للاستشراق**	
مدخل	5
المبحث الأول : مفهوم الاستشراق عند الدارسين	6
المبحث الثاني: الأنساق الثقافية وأنواعها.	10
المبحث الثالث: مفهوم الاستشراق عند ادوارد سعيد	16
الفصل الثاني **(الجزء التطبيقي)** **تجلي النسق الثقافي الخفي في كتاب الإستشراق**	
بطاقة قراءة عامة عن الكتاب	22
وصف الكتاب	23
الأنساق الثقافية والصورة النمطية عن الشرقي.	25
تجليات الأنساق الثقافية في كتابات المستشرقين	31
خاتمة	61
قائمة المصادر والمراجع	64
ملاحق	68
فهرس الموضوعات	70